351

HARLEQUIN

روايات أحلام

# وجهاً لوجه

أيما دارسي

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

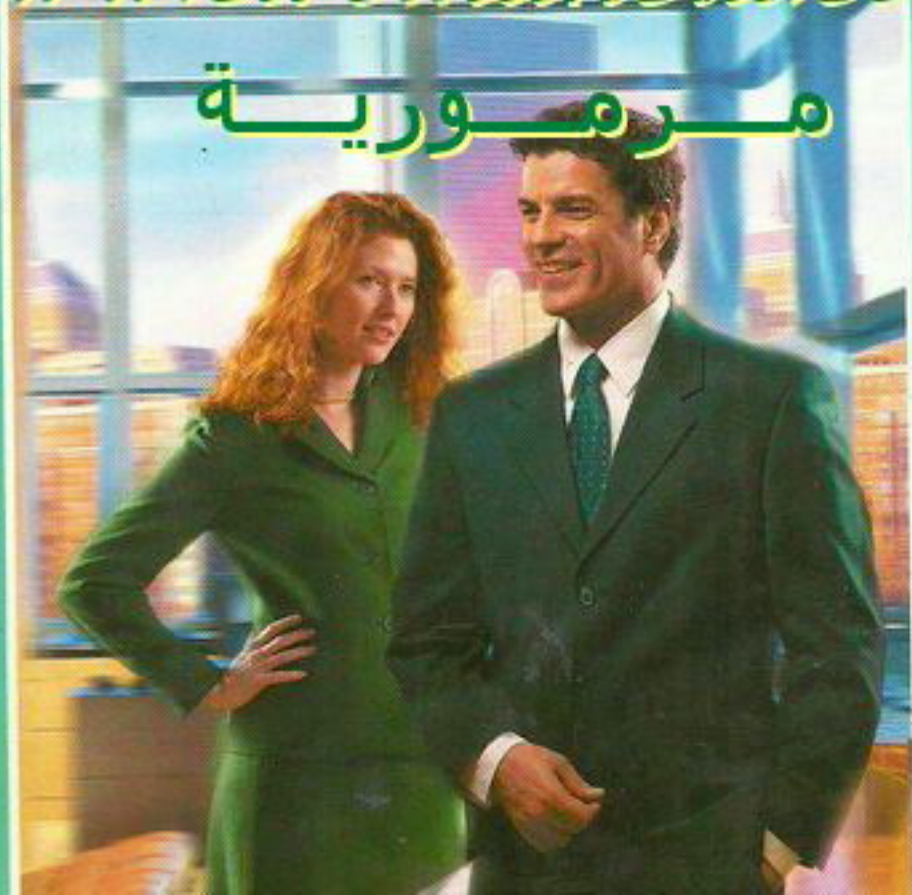

# وجهاً لوجه

ليز هارت فخورة بكونها سكريتيرة محترفة وعالية الكفاءة. براعتها واحترافها جعلا مديرها لا يلاحظ حتى أنها امرأة. إلا أنها قررت يوما أن تعيد تأهيل مظهرها. وجاءت النتيجة مبهرة. لكن هل سيلاحظ مديرها هذا التغيير؟

كول بيرسون أصيب بالدهشة عندما رأى فتاة غريبة مكان سكرتيرته. لكنه صعق عندما علم أن تلك الفاتنة ليست سوى ليز. وعلم فورا أن أيام السلام ولت عن هذا المكتب؛ لم تمض ساعات حتى كان كل منهما ينظر إلى الآخر نظرة جديدة... وفي ذهن كل منهما تخوف واحد: متى تخطيا خط العلاقة المهنية الأحمر. فالاثنان على يقين أن لا عودة إلى الوراء...

| | | | |
|---|---|---|---|
| لبنان: | 2500ل.ل | البحرين: | 1دينار |
| سوريا: | 75ل.س. | السعودية: | 10ريال |
| الأردن: | 1.5دينار | مصر: | 8جنيه |
| الكويت: | 750فلس | المغرب: | 15درهم |
| الإمارات: | 10دراهم | تونس: | 2دينار |
| قطر: | 10ريال | عمان: | 1ريال |

ISBN 9953-15-264-0

# روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
*His Boardroom Mistress*
*First published in Great Britain 2003*
*Harlequin Mills & Boon Limited*
*© Emma Darcy 2003*
*Translation © Dar El-Farasha - 2005*
*ISBN 9953 - 15 - 264 - 0*

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: ir@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

## أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟
لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومانسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ما هي نتيجة هذا الاختيار؟
ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
**أسرة أحلام**

www.elromancia.com

## أيمّا دارسي

كانت أيمّا دارسي ممثلة قبل أن تصبح زوجة وأمّاً. ولاحقاً أخذت تهتم بالرسم الزيتي، ولكنها اعترفت بأنها لم تفلح فيه... بعد ذلك جربت الهندسة المعمارية فوضعت تصميماً لمنزلها الواقع في «نيوساوث ويلز». ومؤخراً أصبحت كاتبة روايات رومانسية، وبحسب ما اعترفت: «أن كتابة الروايات العاطفية من أصعب الأعمال وأشدّها بعثاً للتحدي».

## ١ ـ ليز الحزينة

ـ تحتاجين إلى رجل يقدس الحياة الزوجية يا ليز!

اخترق صوت والدتها الجازم الهادىء سيل الاقتراحات المتدفق من أفواه شقيقاتها الثلاث؛ اللواتي تمكنّ من تحقيق إنجاز عظيم في حياتهنّ يوم تزوجن رجالاً من اختيارهنّ... إنجاز وضعهنّ في خانة الشقيقات المؤهلات لتقديم نصائح، لم تجد ليز مفراً من الإذعان لها، لاسيما بعد أن فشلت في الارتباط برجل من اختيارها.

لم يحاول براندن أن يخفي عنها إحساسه بأن علاقتهما تقيّد حريته، معلناً رغبته بالابتعاد عنها لبعض الوقت... وهذا ما فعله تماماً، إذ سافر إلى النيبال، على المقلب الثاني من الأرض، عله يجد نفسه أو يفقدها في جبال الهملايا، ساعياً وراء الاسترسال في التأمل في دير البوذيين.. أو وراء أي شيء آخر عدا الارتباط بامرأة تنزع إلى التسلط.

أحست ليز بالخزي والعار وهي تعترف بهزيمتها أمام أفراد عائلتها، لكنها لم تجد عذراً مقنعاً للامتناع عن حضور عيد ميلاد والدها الستين، فتفادى بالتالي تبرير غياب براندن.

اجتمعت النساء الخمس ـ ليز ووالدتها وشقيقاتها الثلاث ـ في المطبخ، ينظفن الصحون بعد حفل الشواء الطويل، الذي تولى رجال العائلة تحضيره، ليجلسوا بعدها مسترخين في صحن الدار، يتسامرون وينتبهون إلى الأولاد وهم يلعبون في الفناء الخارجي.

أدركت ليز أن عليها أن تواجه الموقف بشجاعة وتبذل جهداً حثيثاً



www.elromancia.com

لتتخطى ما حصل. . . ولكن استولى عليها في تلك اللحظة إحساس مريع بالوحشة. . فالسنوات الثلاث التي قضتها بصحبته ذهبت كلها هباءً وجاء تصريح والدتها ليضرب على وتر حساس.

قالت لها ساخرة: «كيف يسعني التأكد أنه من النوع الذي يقدس الزواج؟».

يا لها من غلطة فادحة!

كان عليها أن تدرك أن شقيقاتها الثلاث اللواتي وفقهنّ الله أشد التوفيق في حياتهنّ، تملكنّ الرد الصحيح على سؤالها، إذ أسرعت كل واحدة منهنّ تبدي رأيها.

ـ عليك أن تبحثي عن رجل يملك وظيفة ثابتة.

كانت شقيقتها الأكبر سناً جاين، منهمكة بحفظ بقايا الطعام في الثلاجة، فتوقفت للحظات عن عملها للادلاء بوجهة نظرها: «تحتاجين إلى شخص قادر على مساندتك عند إنجابكما الأطفال».

تبلغ جاين الرابعة والثلاثين من العمر، وهي متزوجة من محاسب طموح لم يحد يوماً عن الخط الذي رسمه لنفسه ليبلغ قمة النجاح في مهنته، ولها منه طفلتين.

ـ شخص ينتمي إلى عائلة مرموقة.

رمتها سو بنظرة ماكرة وتابعت تقول:

ـ عائلة يقدّر أفرادها ما حظوا به، ويفضلون الاحتفاظ به لأنفسهم.

كانت سو في الثانية والثلاثين من عمرها، متزوجة من محام ينحدر من عائلة كبيرة، أنجبت منه توأماً من الصبية، تولّع بهما أشد الولع وعشقها أكثر فأكثر على هذه الهدية النفيسة التي قدمتها له.

سلّمت ليز بصمت ومرارة بعجز براندن عن الإيفاء بهذين الشرطين. . . فالوظيفة الثابتة لم تعرف طريقها إليه. . لأنه يفضل الأعمال المتقطعة في حقل



السياحة. . فضلاً عن أنه لا يملك خبرة شخصية في العائلات المرموقة، إذ فقد والديه في سن صغيرة وتولت بعض العائلات تربيته.

لم تجد ليز من داعٍ للقول إنها تجني ما يكفي من المال لإعالتهما معاً وتأسيس عائلة صغيرة. . . إن رضي براندن بأن يلعب دور «رب المنزل» على غرار بعض رجال هذه الأيام. . . فالطريقة التقليدية ليست بالضرورة الطريقة الوحيدة. . . غير أن جاين وسو ترفضان كل وجهة نظر تتنافى مع وجهة نظرهما، لاسيما بعد أن أثبتت التجربة، إثباتاً لا يقبل الجدل، بأن طريقة ليز باءت بالفشل.

ـ ماذا عن رب عملك؟

أيقظ سؤال الشقيقة الصغرى ديانا ليز من شرودها، ورثائها على فشلها.

ـ ماذا عنه؟

أجابتها بتهذيب مطلق من دون أن تنسى أن ديانا لم تتجاوز الثامنة والعشرين من العمر، وتشعر بالاعتداد الشديد بنفسها، لأنها تمكنت من إيقاع رب عملها في حبالها. . وهو صاحب سلسلة من مخازن الملابس.

ـ لا أظن أن النجاح الذي حققه كول بيرسون في حقل الأعمال يخفى على أحد. . ويقال إنه أصبح من أصحاب الملايين. . ألا يفترض به أن ينجز معاملات طلاقه قريباً؟ فقد انفصل عن زوجته منذ فترة طويلة، وصورها وهي متأبطة ذراع هذا الشاب أو ذاك تحتل الصفحات الاجتماعية. . .

ـ أظن أن كول بيرسون هو الأنسب لك والأكثر أهلية.

أعلنت ديانا ذلك وهي تحدق بليز وكأنها عاجزة عن فهم الموضوع بمفردها.

ـ كوني واقعية. . . فذلك لا يعني بأنه متاح لي.

بادلتها ليز النظرات وهي تدرك كل الإدراك أنها لا تتمتع بالمؤهلات

اللازمة لجذب انتباه رجل كامل الأوصاف مثله.

ولكن ديانا بدت مصرة على موقفها: «بلى.. فهو في السادسة والثلاثين من العمر ولا يكبرك إلا بست سنوات... لا أعتقد أنك قد تجدين شخصاً أفضل منه لاصطياده... يمكنك أن توقعيه في شباكك إن بذلت بعض الجهد.. ولا تنسي أنك سكرتيرته الخاصة ويعتمد عليك اعتماداً مطلقاً».

أجابتها ليز بفظاظة محاولة أن تطرد من رأسها فكرة اصطياده، من دون أن تتأجج مشاعر اللهفة والحب بينهما: «لا أظن أن كول بيرسون يكترث لي كامرأة».

علاوة على ذلك، تعلمت ليز منذ زمن بعيد أن تكبح كل رغبة قد تسيطر عليها للنظر إلى رب عملها من هذا المنظار. ولم تشأ أن تقدم على أي خطوة قد تزعزع علاقة العمل المريحة التي نشأت بينهما، آملة استمرارها على هذا النحو في المستقبل.

ـ ولمَ تراه يظهر لك اهتمامه؟

ردت ديانا بحدة، وقد وجدت على ما يبدو أن دورها في التنظيف قد انتهى، فاستندت إلى حافة الطاولة تتفحص أظافرها المقلمة:

ـ فمنذ أن بدأت العمل لدى كول بيرسون وأنت تخرجين مع براندن، ولا تحاولين الإيحاء له بأنك حرة.

ـ إنه طويل القامة ووسيم الشكل.

وافقت جاين شقيقتها الرأي، وقد أثارت فكرة ارتباط ليز بشخص بارع في الحقل المالي اهتمامها، لاسيما وأنه تعامل مع عدد كبير من زبائن زوجها الأثرياء...

وضعت أطباق السلطة الفارغة في الحوض حيث وقفت والدتها تغسلها وليز تنشفها، ثم استطردت تقول: «لا بد أنك تشعرين بانجذاب نحوه يا ليز!».



ـ كلا.. لا أفعل!

أسرعت ليز تنكر الأمر، على الرغم من أنها شعرت بانجذاب نحوه في بادىء الأمر، يوم كان لا يزال رجلاً سعيداً في زواجه...

ولكنها ارتأت أن تدرج اسمه في قائمة الرجال الذين لا أمل يرجى منهم لاسيما بعد أن قابلت زوجته الفاتنة الجمال.

فضلاً عن ذلك، تعرفت ليز في تلك الحقبة على براندن ووجدت فيه خياراً سهل المنال وأكثر واقعية، فكبحت كل المشاعر الجامحة تجاه رب عملها.

سألتها سو بنبرة ساخرة، وقد قطبت جبينها لدى سماعها رد شقيقتها الغريب:

ـ أيعقل ذلك؟ ففي المرات القليلة التي زرتك فيها في المكتب والتقيت به، بدا لي وسيماً وساحراً... وعيناه الزرقاوان مذهلتان..

عيناه زرقاوان باردتان... باردتان ومبهمتان، حسب رأي ليز... فمنذ أن فقد طفله البالغ من العمر ثمانية عشر شهراً في حادث مريع، انغلق كول على نفسه... ولم يشكل انفصاله عن زوجته، بعد مرور ستة أشهر، مفاجأة لليز لأن علاقتهما كانت مضطربة للغاية... وفضّل رب عملها الامتناع عن التعاطي مع الآخرين.

صحيح أنه يتمتع بذكاء خارق، جعله يتتبع عن كثب تقلبات الأسواق المالية بحثاً عن صفقات مربحة لزبائنه، ويراقب كل شاردة وواردة تتعلق بأعماله... إلا أنه صد كل تدخل خارجي قد يمس حياته الشخصية، وأحاط نفسه بحائط من الصعب اختراقه...

أجابت ليز محاولة أن تضع حداً لهذا الحديث غير المجدي:

ـ لا تربطني به علاقة ود... فانتباهه كله محصور بالأعمال.

وأقرت في سرها ساخرة، بأن ذلك جعله يقدر براعتها في إدارة الأعمال

وحسن متابعتها للأمور كافة. . . ولطالما أحست بالإثارة، كلما فاجأته بمعالجتها المتقنة لبعض المسائل. . معالجة لم يكن يتوقعها منها. . . فهو طاغية بكل معنى الكلمة.

نصحتها ديانا قائلة، وفكرة اصطياد رب عملها لا تبارح ذهنها:

ـ عليك أن تزعزعي كيانه ليطرد من رأسه تلك الأفكار المسيطرة عليه.

ـ لا يمكنك أن تبدلي نمط حياة المرء.

أجابتها ليز بحدة، وقد أدركت مدى غبائها، حين خيل إليها في لحظة من اللحظات أنها قادرة على تغيير تصرفات براندن المتأصلة فيه.

تجاهلت ديانا هذه الحقيقة البديهية، وتابعت ثرثرتها وهي تنظر إلى ليز من رأسها إلى أخمص قدميها.

ـ إنه يعاملك وكأنك جزء من أثاث المكتب، لأنك لا تفعلين شيئاً لإثبات العكس. . . متى كانت آخر مرة أنفقت فيها المال على نفسك؟

صرّت ليز على أسنانها لدى سماعها نبرة شقيقتها التهكمية. . فهي متزوجة من رجل ثري، يلبي حاجاتها كلها، ولا تجد نفسها مرغمة على ادّخار معظم ما تجنيه من المال لشراء شقة لها في المدينة. . إذ فهمت ليز أنها لن تتمكن أبداً من تأمين منزل خاص بها إلا إن اشترت واحدة بنفسها. . .

ـ أحتفظ بملابس كلاسيكية الطراز للعمل.

اكتفت ليز بالرد على شقيقتها بهذه الكلمات المقتضبة، من دون أن تتكبد عناء التوضيح لها بأن الملابس الفاخرة لا تلزمها. . فهي تفضل أسلوب الحياة البعيد كل البعد عن الرسميات، مستغلة كل فلس تدخره، لتسافر برفقة براندن إلى أماكن مختلفة، مكتفين بارتداء سراويل الجينز والقمصان القطنية.

قالت ديانا مصعوقة:

ـ كم هذا ممل! فجلّ ما ترتدينه هي البذات السوداء اللون والأحذية العملية. . في الواقع، أظنك تحتاجين إلى تغيير كامل.



أنهت شقيقتاها الأكبر سناً توضيب الصحون في مكانها، وانضمتا إلى ديانا الجالسة على مقعد قرب حافة النافذة.

قالت لها جاين بنبرة أقرب إلى النقد:

ـ لا أظن أن الشعر الطويل يليق بك. . . فهو يخفي وجهك الصغير. . وعندما تشدينه إلى الخلف تبدو عظام وجهك أكثر حدة. . عليك أن تقصيه بشكل مميز يا ليز.

وافقت سو شقيقتها الرأي قائلة: «وتصبغينه أيضاً. . . فإن كان ينبغي عليك ارتداء البذات السوداء، لا أظن أن اللون البني الباهت قد يرفع معنوياتك».

ـ لا أظن أن ارتداء البذات السوداء ضروري.

قالت ديانا ذلك وهي ترميها بنظرة تحدٍ:

ـ أراهن أنك سلكت الطريق الرخيص لتأمين الحد الأدنى من الملابس العملية، أليس كذلك يا ليز؟

لا يمكنها أن تنكر الأمر. . . فامتناعها عن زيارة مصفف الشعر بشكل منتظم، وفر عليها الكثير من الوقت والمال، لا سيما وأنها تجد سهولة كبيرة في تثبيت شعرها بمشبك عند أسفل عنقها، خلال العمل.

علاوة على ذلك، كان براندن يحب شعرها الطويل، وبزاتها المؤاتية للمناسبات المختلفة توفر عليهاعناء إضاعة الوقت لاختيار ما ينبغي عليها أن ترتديه. .

ـ وما همكنّ من ذلك؟

قالت ذلك وقد بلغ الغيظ منها مبلغاً، وهي ترى شقيقاتها الثلاث يضعنها تحت المجهر بهذه الطريقة. .

ثم أضافت بنبرة لم تخلُ من التحدي: «ولا أحد ينتقدني في المكتب».

ـ الخادمة غير المرئية!

أكملت ديانا هازئة: «هذا ما أصبحت عليه بالفعل... والحق يقال إنه لا يجدر بك أن تبذلي إلا القليل من الجهد لتبدي مذهلة».

أجابت معترضة وقد أفقدها هذا الجدال صبرها:

ـ قولي هذا لغيري! لطالما كنت الأكثر قبحاً والأقصر قامة في العائلة.

ونظرت ساخطة إلى شقيقتها جاين الممشوقة القوام، بشعرها الداكن المتموج المحيط بوجهها البيضاوي الشكل، وعنقها الطويل الجميل... كانت شقيقتها الكبرى تتميز بعينين بنيتين، وفم مليء مثير، وقدٍ أشبه بقد عارضة أزياء، تليق به الملابس على اختلاف أنواعها وأشكالها.

انتقلت عيناها الساخرتان إلى سو التي كانت توازي جاين طولاً، ولكنها تتميز عنها بمعالم جسمها التي تضج أنوثة... معالم يعلوها وجه جميل وعينان كهرمانيتان متألقتان، وشعر مجعد، عسلي اللون، يتدلى على كتفيها.

وراحت تتأمل أخيراً شقيقتها الصغرى ديانا.. تلك الشقراء صاحبة العينين الزرقاوين التي تجذب الأنظار إليها حيثما حلت... فشعرها الناعم الأملس أشبه بستار من الحرير وقسمات وجهها جميلة، وتعلوها دوماً طبقة خفيفة من الماكياج، وقدها نحيل، تُبرز جماله ملابسها الأنيقة التي تحمل توقيع أشهر مصممي الأزياء.

وكيف يعقل أن يغض رب عملها الطرف عن جمالها الأخاذ ولا يقع أسير هواها؟

أحست ليز بنفسها صغيرة أمام شقيقاتها... ليس لأنها متوسطة الطول وصغيرة الحجم فحسب، بل لأنها تشعر بنفسها صغيرة بكل معنى الكلمة.. فشعرها الباهت كث، ومن الصعب تسريحه، وعيناها بندقيتان، ضبابيتان تفتقران إلى صفاء اللون، وأنفها ناتىء، وعظام خديها وذقنها بارزة جداً.. وحدها أسنانها السليمة كانت مصدر فخر لها، والناس يتغزلون دوماً بابتسامتها الجميلة...



لكنها لم تشعر في تلك اللحظة برغبة بالابتسام، إذ تملكها إحساس قوي بالبؤس.

ـ من المضحك الادعاء بأنني قادرة على أن أبدو جميلة.

أعلنت ليز ذلك ساخرة:

ـ لا شيء مميز بي إلا ذكائي الذي تمكنت بفضله من إيجاد وظيفة جيدة.. ولكن من خلال خبرتي الشخصية، أستطيع القول إن الرجال لا يحبذون المرأة الذكية في ما يتعلق بالعلاقات الشخصية.

ـ وحده الرجل الذكي يقدِّر ذلك يا ليز.

قالت لها والدتها ذلك بنبرة هادئة.

ـ وكول بيرسون غاية في الذكاء.

وأسرعت ديانا تضيف: «ولا بد أنه يقدرك من هذه الناحية».

ـ هلا توقفت عن زج رب عملي في هذا الموضوع؟

وكادت ليز تدوس على رجلها وقد عيَّل صبرها من إصرار شقيقتها الصغرى على موقفها... فحتى في أحلامها، لا يمكنها أن تتخيل نفسها بين أحضان كول بيرسون..

قالت لها جاين بلهجة جدية: «بغض النظر عن رب عملك يا ليز، أجد أن فكرة تغيير شكلك الخارجي ممتازة، لأنك تتمتعين بجمال خاص بك، ولكنك لا تبذلين جهداً لإبرازه.. فإن اخترت ملابس مختلفة وصففت شعرك بطريقة جديدة...».

ـ والظلال الحمراء الصارخة ستترك حتماً تأثيراً مدهشاً.

ردت سو بنبرة حاسمة:

ـ لو قصصت شعرك بشكل متدرج، ستبدين مذهلة.. واللون الأحمر سيضفي على بشرتك رونقاً خاصاً، فضلاً عن أن هذا التباين الصارخ سيظهر خضرة عينيك.

صرخت ليز ساخطة: «ليستا خضراوان.. إنهما..».

بتت سو الخلاف قائلة: «إنهما أقرب إلى اللون الأخضر منه إلى الكهرماني. واللون الأحمر سيفي حتماً بالغرض... دعيني أحدد لك موعداً مع مزين الشعر، وسأذهب معك لأشرف على الأمر».

أضافت ديانا بلهفة: «ويمكنني أن أصطحبك للتسوق، وأختار لك ملابس مدهشة».

أسرعت جاين تقول: «بأسعار مخفضة، صح يا ديانا؟ لا نريدها أن تدفع مبالغ كبيرة».

- صحيح.

قالت سو بلهجة الأمر:

- علينا أن نهتم بشعرها أولاً، ومن ثم نشتري لها الملابس.

- يستحسن أن تقوم بزيارة مركز التجميل، لتختار مساحيق تتلاءم مع لون شعرها الجميل.

- وتبرز خضرة عينيها.

- ولا تنسي الأحذية... ينبغي أن تتخلص من هذه الأحذية القديمة الطراز.

- قطعاً... فساقاها جميلتان وينبغي أن تعرضهما بتباهٍ.

- ولا تنسي الكاحل الحسن الشكل.

وانفجرن بالضحك وقد سيطرت عليهنّ الإثارة وكأنهنّ سيلوحنّ بعصا سحرية لتحويل شقيقتهنّ الصغرى إلى واحدة منهنّ..

استمرت شقيقاتها بتبادل الآراء حول خطة تغيير شكلها الخارجي برمته، والحماسة بادية على وجوههنّ... وعلى الرغم من أنها كانت واثقة كل الثقة من حسن نواياهن، وجدت ليز نفسها على شفير الانفجار بالبكاء.

- كفى! كفى.. أرجوكنّ!



صرخت ليز في وجههنّ وهي تضرب المقعد بيديها بقوة لتعيرنّها انتباهاً:

- هذه أنا، مفهوم؟ لست لعبة بين أيديكنّ، لتفعلنّ بها ما يحلو لكنّ... هذه أنا، وسأعيش حياتي على هواي.

صعقن عند سماعهنّ نبرة صوتها العنيفة المرتجفة، فالتزمنّ الصمت، ورحنّ يحدقنّ بها والاستياء بادٍ على ملامحهنّ.

ترقرقت الدموع في عينيها، مهددة بأن تسيل غزيرة.

- أريد أن أتحدث مع ليز على انفراد.

تردد صوت والدتها الهادىء من فوق كتفها.. في حين كانت لا تزال واقفة عند حوض غسل الصحون، تمسحه وتنظفه لتعيده إلى حالته الطبيعية.

وعلى الفور نهضت شقيقاتها الثلاث من مكانهنّ وخرجنّ من المطبخ من دون أن ينبسنّ ببنت شفة.

التفتت ليز نحو والدتها، واستجمعت قواها لتتمكن من الكلام، وبدت في حالة يرثى لها، حين نظرت إليها والدتها بعينين مفعمتين بالحزن والتعاطف.. فأخذتها بين ذراعيها لتخفف عنها، وأسرعت ليز تلقي برأسها على كتفها.. كتف لطالما لجأت إليه في أوقات التعب والألم.

نصحتها والدتها قائلة:

- أطلقي العنان لدموعك يا ليز.. أظنك حبستها طويلاً.

انهارت دفاعاتها كلها، فانفجرت باكية تنفس عن كم المشاعر السيئة التي تراكمت في أعماقها، منذ أن رفض براندن عروضها كلها مفضلاً الابتعاد إلى مكان آخر.

- لم يكن مناسباً لك.

همست والدتها بتلك الكلمات في أذنها بعد أن أخذت عاصفة البكاء تهدأ شيئاً فشيئاً.

- حاولت أن تجعلي منه رجلاً مناسباً لك، ولكن محاولاتك باءت كلها

بالفشل.. فهو يكره القيود، وجذوره الاجتماعية مجهولة، وأنت تجدين لذة في معاقبة نفسك.

أجابتها معترضة: «ولكنني استمتعت بالسفر برفقته يا أمي».

ـ أعلم ذلك.. ولكنك لم تجدي وسيلة أفضل للفرار بعيداً عن منافسة شقيقاتك لك! لعلك لا تنظرين إلى الأمر من هذا المنظار، لكن من خلال تعلقك ببراندن استبعدتهنّ من حياتك.. وها هنّ يحاولن العودة إليها، ويبذلنّ جهداً لمساعدتك يا ليز.. إنهنّ شقيقاتك ويكنّ لك كل الحب.

رفعت رأسها لتقابل نظرات والدتها: «ولكنني مختلفة عنهنّ».

ـ هذا صحيح، فشخصيتك مميزة جداً.

والتوى فم والدتها عن ابتسامة حنونة ورقيقة: «إنك ابنتي الوحيدة الذكية».

كشّرت ليزا تهكماً: «لست ذكية إلى هذا الحد، مع أنني ناجحة في عملي».

أومأت والدتها برأسها: «ليست هذه المشكلة.. أليس كذلك؟ فمنذ مدة طويلة وأنت لا تشعرين بالرضى عن نفسك كامرأة.. من السهل جداً أن ترفضي اقتراح شقيقاتك، مدعية أنها مجرد مظاهر كاذبة، ولكن يمكنك التعامل مع الموضوع على أنه مسلٍ.. شكل جديد.. نمط جديد.. لعل ذلك يرفع من معنوياتك... ولا تفكري بالمنافسة بل بالتجربة الجديدة التي ستعيشينها».

ـ أتريدينني أن أكون حقل تجارب؟

هزت رأسها مؤنبة:

ـ إنهنّ فخورات بعملك في حقل المال، ويقدرنّ النجاح الذي حققته.. فما رأيك لو تقري بأنهنّ يملكن خبرة واسعة في أمور تجهلينها تماماً؟

أجفلت ليز لدى سماعها تذكير والدتها لها ببراعة شقيقاتها في القضايا



النسائية، ومهارتهنّ في أمور لم تعرها اهتمامها قط.

ـ أظنهنّ يدركنّ جيداً ما يفعلنه.

قالت والدتها بنبرة جافة: «حتماً!».

تنهدت ليز تنهيدة عميقة وقد وجدت نفسها محرومة من تنظيم شؤونها على هواها، وأملها في أن يشرق نور الفرح في حياتها، مع تغييرها شكلها الخارجي، ضئيل، ضئيل جداً.

ـ حسناً، لا أجد ضيراً في ذلك.

ـ أؤكد لك أن التغيير سيدهشك... جاين على حق يا ليز... فأنت لست قبيحة، بل مختلفة فحسب.

ربتت والدتها على خدها تشجعها:

ـ هيا اذهبي وصالحيهنّ، ودعيهنّ يفعلنّ بك ما يحلو لهنّ... فهذه التجربة مفيدة جداً لكنّ جميعاً.

ـ حسناً.. ولكن إن خيل لديانا بأن شكلي الجديد قد يجعل كول بيرسون يبدل رأيه، فستصاب حتماً بخيبة الأمل.

فرب عملها يقطن في كوكب آخر.. كوكب مخيف.. والشعر الأحمر الناري لن يذيب الثلج في عروقه أو يجعله يراها فجأة بصورة المرأة المثيرة..

ولَمَ يفعل ذلك وزوجته هي عارضة الأزياء المشهورة تارا ساميرفيل التي لا تستطيع حتى ديانا مجاراتها؟

إنه حلم مستحيل.. مستحيل!

## ٢ ـ الخطر القادم

كانت والدته مستاءة وكول لا يحب أن يرى والدته مستاءة. . فبعد وفاة والده، أخذت وقتاً طويلاً لتجد العزاء وتستعيد حياتها الطبيعية. . . وخلال السنوات القليلة الماضية، قضت أوقاتاً حلوة، وقامت برحلات عدة إلى الخارج، ترافقها شريكتها في لعبة البريدج جويس هانكوك. . وجويس مديرة مدرسة متقاعدة، منظمة جداً بطبيعتها، ويمكنه أن يثق بها لتعتني بوالدته خلال سفرهما.

وشاء القدر أن يلعب لعبته، فوقعت جويس وكسرت وركها، ولم يعد بوسعها أن ترافق والدته في الرحلة التي كان من المقرر أن تقوما بها إلى جنوب شرق آسيا.

أمضى كول نهاية الأسبوع برمتها يحاول إلهاء والدته والترفيه عنها، غير أنها بقيت غارقة في كآبتها، تتنهد يائسة والبؤس بادٍ على وجهها.

وفيما كان يقلها إلى منزلها في بالم بيتش بعد أن زارا جويس في مستشفى مونافال تنبه إلى أنها تكافح دموعها، فمال نحوها وأمسك بيدها وشد عليها محاولاً أن يواسيها.

ـ لا تقلقي بشأن جويس. . فعملية استبدال الورك ليست خطيرة.

ثم أضاف يطمئنها: «ستقف على رجليها من جديد قريباً جداً».

ـ لم تكف عن إغاظتي لأنني لن أقوم بالرحلة لوحدي. . . لكنني لا أريد السفر لوحدي.



لم يكن ذلك وارداً بالنسبة لكول. . فمواعيد الرحلة ستربك حتماً والدته، وستنسى أغراضها في غرف الفنادق، وتجد نفسها في أماكن غير مناسبة، في أوقات غير مناسبة.

فمنذ أن ترملت، تحولت إلى إنسانة خالية البال، تعيش على هواها، من دون أن يطالبها أحد بتبرير نفسها، تستمتع بالتجوال من مكان إلى آخر، ملقية على عاتق كول مسؤولية معالجة المشاكل العسيرة. . فقد كان يحرص على صيانة منزلها الشاسع العزيز على قلبها، ويرعى شؤونها المالية.

ـ الخيار خيارك يا أمي. . . ربما كانت جويس تشعر بالذنب لأنها خيبت أملك.

هزت رأسها محبطة:

ـ أنا المسؤولة عن خيبة أملها. . أظنها محقة بشأن شركة كابتن تور، لأن المسؤولين عنها يسهرون على راحة الزبائن، ويستخدمون طبيباً خلال الرحلات. تصر جويس علي لأقوم بهذه الرحلة وأطلعها على التفاصيل كلها. . قالت لي إنني قد أقابل أشخاصاً ظرفاء، وأكسب صداقات جديدة.

ـ من السهل عليها أن تقول ذلك.

لوت أمه يديها باضطراب:

ـ ربما يجدر بي أن أسافر لوحدي. . . فالحجز لا يزال ساري المفعول. . ومن المفترض بي أن ألغيه غداً.

بدا واضحاً له أنها في حيرة من أمرها، وستصاب بالإحباط في كلتي الحالتين.

قال لها بنبرة حاسمة:

ـ تحتاجين إلى شخص يرافقك يا أمي، حتى لا تضيعي لوحدك.

ـ ولكنني لم أجد أحداً ضمن دائرة معارفنا قادر على مرافقتي بدلاً من جويس.

قطب جبينه وقد أدرك أنها تحاول جاهدة العثور على شخص مناسب للسفر معها.

ـ أتريدين السفر حقاً؟

أجابته بصوت مرتجف مفعم بالشك:

ـ كنت أنتظر هذه الرحلة بفارغ الصبر، ولكن من دون جويس...

اتخذ كول قراره في الحال، بعد أن تنبه إلى أن الأمر يتطلب منه بعض التضحية. فمنذ حوالي الأسبوعين، ذهبت ليز هارت في إجازة، وبديلتها استنفدت قدراته كلها على الاحتمال... صحيح أنه يكره العمل من دون مساعدته الشخصية، لكنه لن يجد شخصاً أفضل منها يعهد إليه مسؤولية رعاية والدته... فهو لا يخشى أن تواجه أي عوائق برفقة ليز هارت.

ـ سأطلب من مساعدتي الشخصية أن تحل محل جويس وترافقك في رحلتك.

قال لها ذلك والرضى بادٍ على وجهه، لأنه وجد حلاً يسعد والدته من جهة، ويريح ضميره من جهة أخرى.

أيقظها كلامه من كآبتها: «لا يمكنك أن تفعل ذلك!».

ـ بلى... سأنقل الخبر إلى ليز صباح الغد، وأظنها ستوافق من دون تردد.

صرخت والدته مصعوقة: «ولكنني لا أعرف الفتاة».

ـ ما رأيك لو تحضري غداً إلى المدينة وتتناولي الغداء برفقتها؟... فإن أعجبتك، لا بأس.. وإن لم ترق لك، أخشى أنه عليك إلغاء الرحلة.

بدا جلياً أن إغراء الرحلة قوي للغاية... فلم تكد تمضي دقائق قليلة حتى أذعنت والدته لفضولها:

ـ كيف تبدو.. مساعدتك الشخصية تلك؟

ـ إنها من النوع الذي يحسن معالجة كل الأمور التي ألقيها على عاتقها.



ردّ عليها وهو يبتسم بثقة.

ـ لا بد أنها كذلك لتتمكن من مجاراتك يا كول... ولكنني كنت أقصد شكلها الخارجي.

قطب جبينه، وقد عجز لسانه عن الكلام، فلم يجد عبارة أفضل من «لا بأس بها» ليصفها بها.

أدارت عينيها بنفاد صبر: «كيف تبدو؟».

ـ أجدها دوماً نظيفة ومرتبة.

ـ كم عمرها؟

ـ لست واثقاً.. ربما في أواخر العشرينات أو أوائل الثلاثينات.

ـ ما لون عينيها؟

لم يكن يعرف لون عينيها، ولا يذكر أنه تأملها قط.

ـ ما علاقة لون عينيها بالأمر؟

تنهدت والدته قائلة: «لا أحسبك تنظر إليها، أليس كذلك؟ فالأمر لم يعد يهمك على الإطلاق، بعد أن سددت كل أبواب قلبك أمام الجميع... عليك أن تتخطى ما حصل يا كول وتعيش حياتك.. ألا ترى أنك لا تزال في مقتبل العمر؟».

صر على أسنانه وقد أثارت تلميحات والدته إلى ماضيه اضطرابه:

ـ عيناها برّاقتان.

جاء رده مقتضباً: «وتشعان ذكاءً.. هذا الأمر أهم بالنسبة لي من لونهما».

فالنظرات الخالية من التعبير التي كانت ترميه بها بديلتها خلال الأسبوعين الماضيين، أصابته بالإحباط... لذا ينبغي عليه أن يجد شخصاً آخر ليحل محل ليز هارت خلال سفرها مع والدته.

ـ هل هي جذابة... جميلة... طويلة القامة.. نحيلة.. بدينة..

سمينة؟

تأفف كول من إصرار والدته على التدخل في تفاصيل بعيدة كل البعد عن موضوعهما، فقال لها وقد نفد صبره:

ـ إنها إنسانة عادية جداً، وتميل لمساعدة الآخرين، وستحرص حتماً على تجنيبك المشاكل خلال رحلتك.. فلا داعي للقلق.

تنهدت والدته قائلة: «حاول أن تخبرني المزيد عنها يا كول».

كان حري بها أن تكتفي بما أخبرها، إلا أنه حك رأسه قليلاً بحثاً عن نقطة وثيقة الصلة بالموضوع.

ـ إنها تحب السفر كثيراً، وتقضي معظم أوقات العطلات متنقلة من بلد إلى آخر، وأتوقع منها أن تقفز فرحاً لدى سماعها خبر مرافقتها لك في جولة في جنوب شرق آسيا.

ـ ألن تعتبر مرافقتها لي عبئاً ثقيلاً عليها؟

ـ طبعاً لا.. أيعقل أن أختار شخصاً متذمراً ليرافقك؟ إنني واثق تماماً من أنك ستستمتعين كثيراً برفقة ليز هارت.

ـ أتعتقد ذلك حقاً؟

ـ ماذا؟

ـ أتعتقد بأن رفقتها ممتعة حقاً؟

ـ سأشتاق إليها حتماً!

وجاءت نبرة صوته مفعمة بالمشاعر.

ـ آه!

رمى والدته بنظرة عجلى، وقد حملت تلك «الآه» بين ثناياها نوعاً من الغبطة... غبطة جعلته يتساءل عما يدور في رأسها.

ابتسمت له وقالت:

ـ شكراً يا كول لأنك ترعى شؤوني بشكل ممتاز.. سأنتظر موعد لقائي



بليز هارت بفارغ الصبر.

ـ جيد!

حُلّت المشكلة وزال استياء والدته.

جاء نهار الاثنين... وسمع كول ليز هارت تصل إلى مكتبها المجاور لمكتبه عند الثامنة والنصف تماماً، كما اعتادت أن تفعل خلال أيام العمل.

إنها جديرة فعلاً بثقته.. وضميره ارتاح أشد الارتياح بعد أن قرر أن يعهد إلى مساعدته الشخصية، التي تتميز بدقتها وكفاءتها العالية، مسؤولية السهر على راحة والدته خلال رحلتها المقبلة إلى جنوب شرق آسيا.

ولكن غاب عن باله كلياً أن العرض الذي كان على وشك أن يقدمه لها، يوازي دعوة مفتوحة لليز هارت للتدخل في حياته الشخصية الخاصة.

نهض كول من خلف مكتبه وتوجه نحو الباب الذي يصل بين الغرفتين وقد عقد العزم على تسليم ليز ملف الرحلة، لتقوم بالإجراءات اللازمة لتسافر بدلاً من جويس.. فالوقت نفيس جداً بالنسبة لأمثاله، ولن يضيع وقته سدىً ليهتم بأمور ثانوية... لذا، سيدع ليز تنجز ما هو مطلوب منها.. جواز سفرها، تأشيرة السفر، وإلى ما هنالك.

فتح كول الباب ووجد أمامه امرأة غريبة تعلق حقيبة يدها ومعطفها على مشجب القبعات الخاص بليز، وتحتل مساحة تعود لشخص سواها.

قطب جبينه لدى رؤيته تلك الصهباء المرتدية كنزة خضراء ضيقة، وتنورة زرقاء داكنة مشقوقة من الخلف... ما جعله يخفض عينيه إلى ساقيها الجميلتين، المغلفتين بجوارب زرقاء داكنة، وحذاءها ذي الكعبين العاليين.

من هي هذه المرأة؟ ما الذي تفعله في مكتب ليز؟ لم يبلغه أحد بأن مساعدته الشخصية اتصلت لترجىء موعد عودتها إلى موعد لاحق... فكل تغيير غير مبرر مرفوض من قبله.

سرحت نظراته، من جديد، في خصرها النحيل، قبل أن تلتفت الدخيلة



www.elromancia.com

المزعجة نحوه. . وإذا بعينيه تتسمران على كنزتها المثيرة.

ـ صباح الخير يا كول.

ذهل كول لدى سماعه تحيتها الباردة المألوفة، فرفع عينيه قليلاً ليتأمل ثغرها غير المألوف المطلي بأحمر شفاه صارخ، يحاكي لونه خصلات شعرها القصير المتوهجة والمحيطة بوجهها. .

لمست العينان وتراً حساساً. . عينان شديدتا التألق، ولكن أكبر حجماً وأكثر لمعاناً. . . هذه ليست ليز هارت التي يعرفها. وحده صوتها بقي على حاله.

ـ ما الذي فعلته بنفسك بحق الله؟

تفوه بتلك الكلمات من دون أن يفكر ملياً بها، فجاءت لاذعة من تأثير صدمة رؤيته لها. . . وإذا بذقنها المنحوت بدقة، والذي اعتاد عليه قوياً وثابتاً، يرتجف بتحدٍ استفزازي:

ـ عفواً؟

كان كول شارداً يتأمل القرطين الغجريي الطراز اللذين تدليا من أذنيها:

ـ هذه ليست أنت!

قال ذلك بعصبية وقد أفقده هذا التغير الجذري الذي طرأ على شخص اعتاد أن يعمل معه عن كثب، توازنه. . .

ومضت عيناها بوميض تحذيري: «ألديك أي اعتراض على شكلي الخارجي؟».

دق ناقوس الخطر في رأسه. . أهو تمييز جنسي أم تحرش؟ فليز تحاول أن تغريه ليقدم على خطوة خطيرة، ويستحسن أن يتوخى الحذر.

وعلى الرغم من اختلاف شكلها الخارجي اختلافاً كلياً، كان يعلم بأن جوهرها لا يزال قاسياً ويمكنها أن تدافع عن نفسها ضد كل ما تراه غير منطقي أو غير عادل.



ـ كلا!

أجابها بحزم، محاولاً أن يستعيد السيطرة على ردات فعله المتسرعة، إزاء تلك الصورة الجديدة التي لم يربطها بها قط.

ـ مظهرك الخارجي جميل. . تسرني عودتك يا ليز.

ـ شكراً.

استعاد ذقنها ثباته فابتسمت له قائلة: «يسرني أن أعود إلى العمل».

خطر له أن ذلك سيضعه على الطريق الصحيح، إلا أنه لم يستطع أن يمنع نفسه من التحديق في وجهها الذي بدا جميلاً بشكل مدهش وهي تبتسم.

لعل شعرها الأحمر القصير جعل ابتسامتها تبدو أكثر إشراقاً وعينيها أكثر تألقاً. . أم لعله تأثير أحمر الشفاه الصارخ. . في مطلق الأحوال، لم تعد ليز في نظره متوسطة الجمال.

أراد أن يسألها. . . ما سبب هذا التغيير؟ ما الذي أصابها؟ ولكنها مسألة شخصية ولا يفترض به أن يتدخل فيها. . . فهو يفضل ألا يتخطى حدود علاقة العمل التي تربط بينهما. . . حدود بدت له في الوقت الحالي محفوفة بالمخاطر.

عليه أن يكف عن التحديق بها. . فقد علت الحمرة خديها، مسلطة الضوء على عظامهما البارزة. . لا شك أنها كانت كذلك منذ البداية، لكنه لم ينتبه إليها من قبل. .

أيعقل أن تهمل نفسها عمداً خلال ساعات العمل، وتخفي أنوثتها المذهلة، تحت ملابس فضفاضة، وتمتنع عن ترتيب شعرها أو تزيين وجهها؟

سألته وهي تومىء إلى الملف الذي كان يحمله: «أهذا لي؟».

أدرك للحال أن صمته المحرج دفعها إلى اتخاذ المبادرة، فقال لها من دون تردد:

ـ أجل. . . أريدك أن ترافقي والدتي في رحلة إلى جنوب شرق آسيا.

حدقت به مصعوقة وكأنها لا تصدق ما تسمعه..

فضل كول أن يدخل على الفور في صلب الموضوع، فتقدم نحوها ورمى الملف على مكتبها وقد أحس بدفعة من الأدرينالين تسري في جسمه وهو يستعيد سيطرته على زمام الأمور.

- تجدين فيه كل المعلومات المطلوبة... شركة كابتن تور للسياحة والسفر.. ستزوران بورنيو وبورما والنيبال ولاوس وفيتنام وكامبوديا... خلال خمسة عشر يوماً... تنطلق الرحلة يوم السبت ويلزمك صور شمسية لتأشيرات السفر، فضلاً عن لقاحات ضد التيفوئيد والتهاب الكبد وغيرها من الأمراض.. أظن أن جواز سفرك لا يزال ساري المفعول..

- أجل.

- حسناً... لا مشكلة إذن.

بقيت مسمرة في مكانها تحدق به، من دون أن تمد يدها لتفتح الملف.. فحمله ونقر به على الطاولة ليلفت انتباهها إليه:

- تجدين فيه بطاقات السفر، التي دفع ثمنها مسبقاً.. وستلاحظين أنها صادرة باسم جويس هانكوك. وما عليك سوى الاتصال بشركة السياحة لإبلاغهم بأنك ستسافرين بدلاً منها.

رددت مذهولة: «جويس هانكوك».

- إنها رفيقة والدتي المعتادة خلال سفرها.. ولكنها كسرت وركها ولم تعد قادرة على مرافقتها.. وعبثاً حاولت والدتي إقناع واحدة من صديقاتها الأخريات بالسفر برفقتها خلال هذه الفترة الوجيزة.

هزت ليز هارت رأسها، فماج شعرها الناري، وكأنه شيء جامح ينبض بالحياة... قطب كول جبينه وقد أدرك أنها تومىء بالنفي.. فأبى الإذعان لرغبتها وهمَّ بالتجادل معها، لكنها أخذت نفساً عميقاً وقالت له:

- والدتك.. السيدة بيرسون.. لا تعرفني..



- أنا أعرفك.. أكدت لها بأنها ستكون في أمان معك.

- ولكن...

- تحتاج والدتي، قبل كل شيء، إلى شخص يحسن تدبير شؤونها خلال الرحلة.. والحق يقال إنني أقدر كل التقدير براعتك في التدبير، إلى جانب دبلوماسيتك ولباقتك، فضلاً عن أنك تملكين خبرة كبيرة في ميدان السفر..

ورفع حاجبيه يتحداها: «صحيح؟».

أخذت نفساً عميقاً من جديد، فتحرك صدرها تحت كنزتها المثيرة، التي يحاكي لونها الأخضر خضرة الأحجار الكريمة.. اضطرب كول، فعقد العزم على ألا يدع مظهرها الخارجي الجديد يستحوذ على أفكاره ثانية..

- شكراً، يسرني أنك تقدر صفاتي.

قالت له ذلك بنبرة ساخرة، لم تخلُ من بعض التردد.

- ولكن يستحسن أن أقابل والدتك..

- ستقابلينها اليوم على الغداء.. عليك أن تحجزي طاولة لنا جميعاً في مطعم ليفل ٢١، عند الساعة الثانية عشرة والنصف.. ستنضم والدتي إلينا في المطعم.. إنها متلهفة للتعرف عليك.

- هل السيدة بيرسون مريضة؟

- إطلاقاً.. صحيح أنها تعاني من بعض الارتباك في ما يتعلق بالاتجاهات في الأماكن الغريبة ولا تتأقلم مع اختلاف التوقيت والمواعيد الصارمة، إلا أنها تتمتع بصحة جيدة.. وستعتمد عليك لتنظمي أمورها.. هذه هي مهمتك، اتفقنا؟

- هل هي راضية عن ذلك؟

- من المحال أن أدعها تقوم بهذه الرحلة لوحدها، وهي متلهفة للقيام بها..

- فهمت.. تريدني أن ألعب دور الجليسة.

ـ أجل.. وثقتي بقدرتك على تأمين الجو الملائم لها لتستمتع برحلتها، كبيرة جداً.

ـ ماذا لو لم أعجبها؟

ـ ما الذي قد لا يعجبها فيك؟

قال لها ذلك بفظاظة غير مقصودة، بعد أن تنبه إلى أن والدته ستحب النسخة الجديدة من ليز هارت، وستهزأ حتماً من حكمه عليها.. إذ وصف لها مساعدته الشخصية بالعادية..

لم تنبس ليز ببنت شفة.. وهذا أمر بديهي.. فطبعها الحديدي لا يسمح لها بأن تقلل من شأن نفسها شفهياً.. مما جعل لغز إهمالها لشكلها الخارجي خلال السنوات الثلاث الماضية يزداد أهمية في نظره..

أتراها من الأشخاص الذين ينادون بالمساواة بين الجنسين، وتتنكر لحسنها سعياً وراء تقدير الناس لذكائها المتقد؟

لكن لمَ قررت فجأة أن تعرض أنوثتها متباهية بها؟

اللعنة! كيف سمح لعقله بالاسترسال في هذه السخافات؟

نقر بالملف على الطاولة من جديد:

ـ هل أستطيع أن أتركه بحوزتك؟ ألن تجدي صعوبة في معالجة الموضوع؟

كانت عيناه تحدقان بها بإلحاح ليسمع منها الرد المطلوب.

ـ لا أجد أي صعوبة في الأمر.

حملت نبرة صوتها الكثير من الغرور.

ـ حسناً! أعلميني إن واجهتك أي مشكلة.

واستدار على عقبه، ليعود إلى مكتبه وهو منزعج جداً من اهتمامه المبالغ فيه بتفاصيل هذه المرأة، التي كانت حتى صباح اليوم أشبه بالعقل المتمم لعقله.. فتغيرها قلب راحته رأساً على عقب.

من حسن حظه أنها ستسافر مع والدته لمدة أسبوعين، فتتاح له الفرصة



ليستوعب بأن مساعدته الشخصية أصبحت مثيرة للغاية.

في غضون ذلك، بدأت الأعمال تتراكم عليه، ولن يسمح لأي شيء بأن يلهيه عن إنجازه... يكفي أنه سيضيع بعض الوقت ليتناول الغداء مع والدته. الغداء الذي سيثير حتماً غضبه، بفضل تغير ليز هارت الدراماتيكي.

بدأ نهاره بداية سيئة، سيئة للغاية... ومع أنه يجد الطعام لذيذاً في مطعم ليفل٢١، إلا أنه يتوقع أن يغص وهو يتأمل والدته مدهوشة برفيقة رحلتها الجديدة.

فصورة ليز هارت النابضة بالحياة ستروق لها من دون أدنى شك، ولكن كول لم يكن راضياً عنها، ولا يعلم ما إذا كان ذلك قد يعيد التوازن إلى الأمور.

## ٣ ـ أسئلة خاصة... جداً!

أخذت ليز نفساً عميقاً.. عميقاً جداً، وأخرجته على مهل. ثم أرغمت رجليها على المشي بثبات في المكتب من دون أن تترنح في حذائها ذي الكعبين العاليين، وكتفاها مشدودتان إلى الخلف وظهرها مستقيم، تماماً كما دربتها ديانا.

شعرت بارتياح كبير عند جلوسها على الكرسي، لاسيما وأن عظامها كانت ترتجف من ثورة كول بيرسون على شكلها الخارجي.

توقعت ديانا أن تزعزع صورتها الجديدة كيانه، ولكن ليز كانت واثقة من أنه سينظر إليها بانتباه للحظات قليلة، ثم يعزو الأمر إلى هوس النساء بالأمور التافهة وينتقل بعدها إلى المسائل الجدية... لم يخطر على بالها أبداً أنه قد يهاجمها على ما فعلته.. وبهذه الشدة.

كم شعرت بالحرج حين التفتت نحوه لتجد عينيه الزرقاوين الثاقبتين مركزتين على صدرها.. وتسارعت نبضات قلبها في الحال.. وأسرعت تلقي عليه التحية لتبعد نظره عن جسمها، وإذا به يحدق بثغرها وكأن كلمات مهمة خرجت منه...

وعندما رفع أخيراً عينيه نحوها، تشوشت أفكارها من قوة تركيزه على هيئتها الخارجية..

وتردد صدى ردها في تلك اللحظة، في رأسها: لن أدعه يشعرني بالسوء مهما كلف الأمر.

لا يحظر قانون العمل على المرأة أن تغير لون شعرها أو نمط ملابسها أو



طريقة تبرجها وهي لم تقص شعرها كل خصلة منه باتجاه مختلف أو تصبغه بالأحمر والأزرق والأرجواني.. فلونه الأحمر طبيعي، والتسريحة المتدرجة الشكل رائجة.. أما ملابسها فمحتشمة، وماكياجها خفيف وبعيد عن المبالغة ليتلاءم مع لون شعرها الجديد.

كانت والدتها محقة في كلامها.. فقد شعرت ليز بالرضا حين رأت نفسها أكثر تألقاً وأناقة وبدأت تبتسم لنفسها في المرآة.. ابتسامة لن تسمح لكول بيرسون بأن يمحوها عن وجهها، لأنه يفضل أن ينظر إليها كجزء من أثاث مكتبه، أو كجهاز آخر من أجهزة الكومبيوتر المتعددة فيه..

وعلى الرغم من ذلك، أثنى كول على براعتها في الإدارة ولباقتها ودبلوماسيتها وتفهمها وذكائها الحاد.. مما يضعها في مرتبة أعلى من الكومبيوتر..

ولعل أكثر ما أثار دهشتها هي ثقته العمياء فيها ليعهد إليها مهمة رعاية والدته!

بعد أن نفست عن استيائها عن ملاحظات رب عملها الجارحة، حول مسألة لا علاقة له فيها، ركزت ليز اهتمامها على الملف الذي وضعه على مكتبها.

كانت المفاجآت كثيرة ومتلاحقة هذا الصباح.. علاوة على اهتمام كول المبالغ فيه في مظهرها الخارجي، وقع اختياره عليها لتلعب دور الوصية على والدة لم تقابلها من قبل، وقدم لها رحلة مجانية إلى جنوب شرق آسيا... رحلة من الدرجة الأولى مع شركة كابتن تور للسياحة.

وفي خضم ذلك كله، أتى كول على ذكر النيال من بين الوجهات المختلفة التي ستقصدانها.

وبراندن اختار النيال ملاذاً له... من الصعب أن يلتقيا هناك... وهي لا تتمنى أن يفعلا.. أليس كذلك؟ فعلاقتهما انتهت إلى الأبد.

غير أن هذه الصدفة الغريبة أثبتت سخرية القدر، خاصة وأنها لن تسافر في الدرجة السياحية الرخيصة، كما فعل براندن...

«إنك تستحقين شخصاً أفضل من براندن ويلير».

لعل والدتها محقة...

قرأت ليز على غلاف الملف «شركة كابتن تور الرائدة في الرحلات الفخمة إلى أماكن بعيدة وغريبة..» فتملكتها الإثارة وأسرعت تفتح الملف لتطلع على بيان الرحلة والأماكن التي ستزورها.

وتنبهت إلى أنهما ستنزلان في فنادق فخمة جداً.. حياة ريجنسي في كاتمندو وأوبرا هيلتون في هانوي، وفندق رافل في بنوم بنه. وستقومان برحلة في طائرة خاصة فوق جبل افريست، وأخرى إلى خليج هالونغ باي، وثالثة إلى عجائب رانغون المعمارية في كامبوديا، فضلاً عن جولة في قطار خاص في أرياف بورما...

يمكنها أن تستفيد كثيراً من هذه الرحلات من دون أن تقلق حيال مصاريفها ومكان إقامتها ووجباتها... فكل شيء منظم ومدفوع سلفاً..

أما إن كانت والدة كول مشاكسة بطبعها، فلن تجد صعوبة في كسب رضاها، من خلال معاملتها بلطف شديد...

في مطلق الأحوال، لا بد أن السيدة بيرسون تتوق بشدة للقيام بهذه الرحلة لتوافق على خطة ابنها... مما يعني أنهما ستتوصلان إلى اتفاق متبادل للاستمتاع بوقتهما من دون مشاكل..

لباقة... دبلوماسية... تفهم... ابتسمت ليز ابتسامة عريضة وهي تمد يدها وترفع سماعة الهاتف وقد أصبحت مستعدة لتحجز لها مكاناً في هذه المغامرة المذهلة..

كانت تنبض بالحيوية طوال الصباح، فحجزت طاولة لثلاثة أشخاص، في مطعم ليفل٢١.. ثم قامت بالإجراءات اللازمة كلها لتحل محل جويس



هانكوك..

لم ترَ وجه كول طوال فترة قبل الظهر، كما أنه لم يتصل بها.. فقد فضل أن يغلق على نفسه باب مكتبه وينصرف إلى إنجاز أعماله.

عند الثانية عشرة والربع، دخلت ليز إلى التواليت لتصلح هندامها، فابتسمت لنفسها في المرآة، وقد عقدت العزم على ألا تدع تعليقات رب عملها أو تصرفاته تزعجها، ثم توجهت إلى عرين الأسد لتواجهه فيه، آملة ألا يعضها هذه المرة..

طرقت الباب قبل أن تدخل إلى مكتبه، ثم وقفت أمامه تنتظره ليرفع عينيه عن أوراقه وينظر إليها.. غير أنها تجاهلت عبوسه عندما رفع وجهه وقالت له بنبرة هادئة:

ـ علينا أن ننصرف حتى لا نتأخر على والدتك.

تحتل مكاتب شركة كول طابقاً في برج شيفلي الذي يعد من أفخم المباني في وسط المدينة.. ولم يكن عليهما سوى أن يستقلا المصعد ويصعدا إلى مطعم ليفل٢١ الذي يعد أيضاً من أفخم المطاعم في سيدني، وكان كول يجده ملائماً جداً للاجتماع فيه بزبائنه.

حملق كول فيها للحظات قليلة، بعينيه الزرقاوين الباردتين، وأثار اضطرابها.. وأحست بقشعريرة تسري في جسمها، فلامت نفسها لأنها لم تلبس معطفها.. إلا أنها عادت وتذكرت بأنهما لن يغادرا المبنى...

إنه رب عملها وقد استعاد الآن طبيعته.. وإذ أرجع كرسيه إلى الخلف ونهض من خلف مكتبه، أدركت ليز أن سو لم تكذب حين وصفته بالوسيم الطويل القامة... فشعره أسود كثيف، وحاجباه سوداوان وبشرته داكنة، ووجهه قوي الملامح، وفكه مربع الشكل، وفمه صلب وأنفه مستدق، وأذناه دقيقتان... أما عيناه فزرقاوان ثاقبتان، تمنحانه تلك القوة الطاغية التي تجعل حضوره ملفتاً للأنظار.

أطلقت ليز تنهيدة ارتياح حين دخلا إلى المصعد ووقفا في المقصورة جنباً إلى جنب فيما كان يقلهما إلى الطابق الواحد والعشرين.

تسمر كول مكانه ويداه مشبوكتان أمامه وعيناه مركزتان على الأرقام التي كانت تومض بشكل متقطع فوق الباب..

صحيح أن وضعيته هذه توحي بالاسترخاء إلا أنها أحست بالتوتر ينبعث منه ويمحو الارتياح الذي خالجها للحظات خلت..

لعله يحمل في أعماقه طباعاً بشرية! أتراها سبب ذلك الخلل في رباطة جأشه الحديدية أم فكرة لقائه بأمه؟

وشعرت ليز بحاجتها إلى أن تصفي ذهنها وتستعد للإجابة على أسئلة والدته بطريقة إيجابية ومطمئنة.. غير أن أجوبتها تتوقف حتماً على طبيعة والدة كول.. وتمنت ليز في سرها ألا تكون باردة..

قال لها كول إنها مشوشة الفكر بعض الشيء، ولكن ذلك قد يعني بأن ذهنها ليس ثاقباً مثله..

أسرعت ليز تهذب أفكارها فيما كان رئيس الخدم يستقبلهما عند الباب معلناً وصول السيدة بيرسون واختيارها ركناً هادئاً عند المشرب لتجلس فيه.

ـ أظنها قلقة!

دمدم كول بهذه الكلمات المقتضبة فيما كان النادل يقودهما إلى ركن جلست فيه امرأة متقدمة في السن، على كنبة جلدية رمادية اللون، تتأمل مدينة سيدني الممتدة تحت ناظريها من خلف الجدار الزجاجي.

كان شعرها أبيض قصيراً، يحيط بوجه ممتلىء الخدين، خالٍ نسبياً من التجاعيد. لم يمحُ الزمن عنه آثار الجمال الأخاذ الذي كانت تتمتع به في شبابها.

لم تكن والدة كول قد تخطت العقد السابع، والطيبة واللباقة باديتان على وجهها.. فأحست ليز ببعض الارتياح، لأنها لم ترَ فيها ما يدل على ميلها



ولا شك أن البذات التي يرتديها بشكل دائم وتحمل توقيع آرماني تضيف إلى حضوره هيبة..

كان كول بيرسون متميزاً إلى حد يثير غيظ ليز... إذ ليس من العدل أن يستأثر أحدهم بهذه المؤهلات كلها لوحده. إلا أنها أقنعت نفسها بأنه ليس إنساناً عادياً، مع أن قالب الرجل الآلي الذي وضع نفسه فيه، تصدع هذا الصباح.

وسمعت صوتاً يحثها على التحرك من مكانها، فحبست أنفاسها وهي تراه يتوجه نحوها وعلى ثغره ابتسامة ساخرة.. وعيناه تتأملانها من جديد، عاجزاً عن استيعاب صورتها الجديدة.

ـ هل اتصلت لتتأكدي ما إذا وصلت أمي؟

ـ كلا... أرى أنه من اللياقة أن نصل في الوقت المحدد.

ـ ولكن والدتي ليست من النوع الدقيق في مواعيده.

ووقف إلى جانبها قرب الباب:

ـ ولهذا السبب تحتاج إلى وجودك معها.

لمَ أعطى هذا الجدال زخماً أكثر مما ينبغي؟

ـ وعلي أن أثبت لها بالتالي بأنني جديرة بأن تتكل علي، من هذه الناحية.

ردت عليه سريعاً وهي تقسم في سرها بأنها سمعت تنفسه القوي، وهو يومىء لها بفظاظة لتلحق به إلى خارج المكتب.

حرصت ليز على أن تمشي بوقار مستقيمة الظهر.. وكم وجدت نفسها غبية حين شعرت بالنيران تستعر في قفا عنقها العاري، من تأثير عينيه الباردتين..

لا بد أنه كان يحدق بها بإمعان لتضطرب بهذا الشكل.. فهو من النوع الذي يولي كل ما يشغل باله اهتمامه كله. وأحست كأنه وضعها تحت المجهر وتمنت لو أن الأرض تنشق وتبلعها من شدة الإحراج.

للمشاكسة أو للتصرف بفظاظة.

كانت ترتدي بزة أنيقة زهرية اللون، وقميصاً حريرية عاجية، وتتحلى ببروش من اللؤلؤ وقرطين لؤلؤيين ملائمين، فضلاً عن العديد من الخواتم في أصابعها.

ـ أمي!

استدارت المرأة لدى سماعها نبرة صوت ابنها الجافة، وقد أجفلت قليلاً من المفاجأة.. فحدقت به بعينيها الزرقاوين للحظات قليلة، ثم التفتت بفضول نحو ليز.. وإذا بها تقف فاغرة الفم أمامها مدهوشة.

ـ أمي!

ناداها كول ثانية بنبرة جافة مفعمة بالغيظ، فأطبقت فمها ساخطة ونظرت إليه بعينين يملؤهما الاتهام.

خيل لليز أنها سمعت صرير أسنان كول إلا أنه تمكن من إرخاء فكيه وقال:

ـ أقدم لك سكرتيرتي الخاصة ليز هارت.. أمي.. نانسي بيرسون.

نهضت نانسي من مكانها ومدت يدها لتصافح ليز، وعيناها الزرقاوان تومضان بالإحباط... إحباط نفست عنه بقولها:

ـ عزيزتي... كيف يمكنك أن تتحمليه؟

كانت لباقتها ودبلوماسيتها على المحك في تلك اللحظة!

ـ إنه أفضل رب عمل حظيت به!

أعلنت ليز ذلك بحماسة صادقة ثم استطردت تقول: «إنني أستمتع كثيراً بالعمل معه».

ـ العمل!

كررت نانسي هذه العبارة بقرف..

ـ باتت رؤيته للأمور محدودة جداً.. فهو لا يفعل شيئاً إلا العمل.



ـ أمي!

جاء اعتراض كول مفعماً بالوعيد فتدخلت ليز لتتجنب العاصفة:

ـ حدثني كول هذا الصباح عن رحلتك إلى جنوب شرق آسيا، سيدة بيرسون.

ورسمت على ثغرها ابتسامة جميلة وأضافت بنبرة مفعمة بالحماسة:

ـ أظن أنها رحلة شيقة!

يبدو أن كلامها لامس وتراً حساساً، إذ تخلصت نانسي من مزاجها النكد وابتسمت لها وهي تشد على يدها فرحة:

ـ هذ ما أظنه أيضاً.. إنها شيقة للغاية ولا ينبغي علينا أن نفوتها.

شدت ليز بدورها على يدها قائلة:

ـ أعجز عن وصف مدى سعادتي لاختياري رفيقة لك.. سنزور أماكن مذهلة.

ـ حسناً.

ورمت ابنها بنظرة ماكرة حملت بين ثناياها شيئاً من التأنيب:

ـ إنه يحسن التصرف في بعض الأحيان.

ـ أريد شراباً منعشاً... هل أحضر لك شيئاً يا ليز؟.. أتريدين كأساً أخرى يا أمي؟

أجابت ليز على الفور:

ـ أريد كوباً من الماء فحسب.

ـ أريد كأس عصير بالصودا.

قالت نانسي ذلك بلهجة الأمر، وظهر فجأة في عينيها بريق سخرية خبيثة:

ـ بدأت أشعر بالحماسة، الآن وقد قابلت «ليزتك» يا كول.

«ليزته»؟ ما هي العبارات التي تراه استعملها ليصفها لوالدته؟.. لا يعقل أن يستعمل عبارات تدل على استحواذه عليها.

ـ يسرني أن أراك سعيدة.

قال كول ذلك بنبرة لاذعة ثم استدار وتوجه نحو المشرب.

شدت نانسي علي يد ليز من جديد قبل أن تطلق سراحها وتومىء لها نحو ركنها:

ـ تعالي واجلسي بقربي، لأتعرف عليك أكثر.

ـ ما الذي تريدين أن تعرفيه عني؟

قالت لها ليز ذلك برحابة صدر، فيما كانت تجلس على الكنبة الجلدية الوثيرة.

ـ لا أريد التحدث عن العمل.

جاء ردها جازماً.

ـ حدثيني عن عائلتك.

ـ يقيم والداي في نوترال باي.

ـ إنها منطقة جميلة!

ـ والدي طبيب.. ووالدتي ممرضة.. لكنها..

ـ تركت عملها لتهتم بعائلتها.

ـ أجل... أربع بنات.. وأنا الثالثة بينهنّ.

ـ رباه! لا بد أن العنصر النسائي مهيمن في منزلكم.

ضحكت ليز: «أجل.. لطالما تذمر والدي لأنه من الأقلية.. ولكن الله أنعم عليه بثلاثة أصهرة يساندونه في وقت الشدة».

ـ تزوجت شقيقاتك الثلاث! كم هذا جميل! حدثيني عن أزواجهنّ!

استرسلت ليز في الحديث عن حياة شقيقاتها، أمام تشجيع نانسي



الحثيث... ولم تكد تنتهي من كلامها حتى رأت كول عائداً نحوهما، فوضع الكؤوس على الطاولة المنخفضة أمامهما وارتمى على الكنبة المقابلة..

وبعد أن شكرتاه بلطف، طرحت نانسي عليها سؤالاً لم تشأ أن ترد عليه:

ـ ماذا عن حياتك الاجتماعية يا ليز؟ أم لعلك مثل كول...

ونظرت إلى ابنها ساخرة: «ترفضين الارتباط بأحد؟».

وذكرتها كلماتها، للحال، بالفراغ الذي خلفه ارتداد براندن.. فماطلت في الرد، وحملت كوب الماء بين يديها، وهي تتمنى في سرها لو أنها لم تطرح عليها هذا السؤال، لا سيما بتلك الطريقة، لأنها تعمدت أن تربط بينها وبين رب عملها الجالس أمامها، وكله آذان صاغية.

وإذا به يهب لنجدتها، على نحو غير متوقع، ويقول لوالدته بفظاظة:

ـ أنت تتدخلين في أمورشخصية للغاية... دعيها وشأنها...

تأففت والدته من كلامه، وردت عليه قائلة:

ـ ألم يخطر في بالك أن شابة ذكية وجميلة مثلها مرتبطة حتماً، وقد يعترض صديقها على سفرها برفقتي؟

اكفهر وجهه كول ورماها بنظرات مفعمة بالاتهام وكأن الذنب ذنبها، ثم التفت نحو والدته بنفاد صبر وسألها:

ـ ولِـمَ تراه يعترض؟ فهي لن تغيب عنه إلا اسبوعين، ولا أظنه قد يعتبرك منافسة له.

اسرعت نانسي تجاوبه وكأن حججها كانت مهيأة سلفاً:

ـ لا تنسَ بأننا لم نعلمها إلا قبل أيام قليلة من الرحلة.. ولعلهما مرتبطين بمواعيد سابقة.. هل تكبدت عناء سؤالها هذا الصباح أم اكتفيت بإصدار الأوامر منتظراً منها أن تنفذها بحذافيرها؟

اطلق كول تنهيدة استهجان، فلم تجد ليز أمامها خياراً آخر سوى أن

تقاطعهما:

ـ سيدة بيرسون..

ـ ناديني نانسي يا عزيزتي!

ـ نانسي..

حاولت أن ترسم على ثغرها ابتسامة رضى لاخفاء حالة الذعر التي سيطرت عليها.

ـ لست مرتبطة في الوقت الحالي.. إنني حرة، ولن ارفض الفرصة الرائعة التي قدمها لي كول هذا الصباح.. فلو كنت مشغولة لأعلمته بذلك.

دبلوماسية.. لعبة.. ولكنها كشفت النقاب عن فراغها بشكل مهين.

قال كول لوالدته: «هل أنت راضية؟».

ابتسمت له: «كل الرضى».

جاء ردها مفعماً بالاعتداد بالنفس وكأنها ربحت الجولة.

شعرت ليز بالحيرة وسط التلميحات المبطنة التي كانت الوالدة وابنها يتبادلانها.. ووجدت نفسها اشبه بطابة يحاول كل واحد منهما أن يرميها في ملعبه.. فاسرعت تضع حداً لهذه الأحاديث وتغير دفة الحديث.

ـ لم أزر كوشينغ من قبل، ولكنني سافرت مرة إلى ماليزيا.

ولحسن حظها، احبت نانسي حديثها عن تجربتها السابقة، وتدبرت ليز أمرها طوال فترة الغداء ساعية بمهارة كبيرة إلى تهدئة التوتر الذي ساد الأجواء قبل قليل.

تناول طعامه بصمت، مكتفياً بالمشاركة بشكل مقتضب في حديثهما.. على الرغم من أنه كان يرمي ليز بين الحين والآخر بنظرات تقدير على الجهد الجلي الذي تبذله لكسب رضى والدته.

لم تكن المسألة صعبة إلى هذا الحد، لأن نانسي لم تحاول أن تخفي ميلها إليها.. فكانت عيناها تتلألأن فرحاً واستحساناً كلما تفوهت ليز بكلمة.



من جهتها، كانت ليز أكثر تيقظاً لحضور رب عملها، الذي كان يراقبها، ويصغي إلى كلامها باهتمام بالغ.. وكلما التقت عيونهما، قفز قلبها فرحاً، للتفاهم الساري سراً بينهما.

إنها المرة الأولى التي يحصل فيها ذلك، وحاولت ليز أن تحلل أسبابه!

أترى والدته هي السبب، لأنها تناولت مواضيع شخصية؟ أم لأنه بات ينظر إليها من زاوية مختلفة، ويرى المرأة الكامنة خلف سكرتيرته الخاصة؟ أم لعلها بدأت تحذو حذوه، وتنظر إليه على أنه ابن نانسي وليس رب عملها؟

كانت المسألة مربكة ومقلقة في آنٍ معاً.. ولم تشأ أن تدع هذا الرجل يؤثر فيها أو يحرك مشاعرها.. فهو قادر حتماً على استعادة برودته المعتادة فور انتهاء هذا اللقاء مع والدته.

ـ هل أنت متفرغة هذا السبت يا عزيزتي؟

طرحت نانسي عليها هذا السؤال، فيما كانوا يقدمون لهم القهوة.

ـ نعم!

ترددت ليز قليلاً في الرد، وهي تتساءل عما تريده منها.

ـ جيد! أريدك أن تحضري إلى منزلي في بالم بيتش، لتساعديني على توضيب أغراضي.. اعتادت جويس أن تفعل ذلك، دوماً، حتى لا أحمل معي اغراضاً كثيرة، لا أحتاج إليها.. ألديك سيارة؟ من الصعب الوصول إلى المنزل بواسطة وسائل النقل العامة.. إن كنت لا تملكين سيارة...

قاطعتها ليز بسرعة قائلة: «لا عليك.. سأتدبر أمري».

لم تفكر يوماً باقتناء سيارة.. فوسائل النقل العامة أسرع وأقل كلفة من السيارة الخاصة!

صحيح أن بالم بيتش بعيدة بعض الشيء وتقع في الطرف الشمالي لشبه الجزيرة، ولكنها لن تجد صعوبة في الوصول إلى هنالك..

ـ كنت سأطلب من كول أن يوصلك.

وابتسمت لابنها واستطردت تقول: «يمكنك أن توصلها يا عزيزي، أليس كذلك؟ ولا تنسَ موعدك مع الحرفي الذي سيعطيك سعراً بشأن البلاط الجديد حول بركة السباحة، نهار السبت».

وقطبت جبينها وأضافت: «هل قال إنه سيأتي عند الحادية عشرة أم عند الواحدة؟».

تنهد كول.

ـ سآتي يا أمي وسأصطحب ليز معي.

قال ذلك بحدة، وقد عيل صبره!

رائع! كانت ليز تفضل أن تستأجر سيارة تاكسي على أن تشعر بنفسها عبئاً ثقيلاً على كاهل رب عملها.

ولكنها ادركت بأن اعتراضها سيذهب هباءً، وما عليها سوى أن تتحمل الأمر على مضض، وتبتسم ابتسامة عريضة.. ابتسامة قد لا تروق لـ كول، الذي ضاق ذرعاً من تدليل والدته..

ـ يستحسن أن تصل باكراً.. قبل الحادية عشرة.

وابتسمت لـ ليز وأضافت: «ستتناول الغداء معاً.. استمتعت كثيراً معك اليوم.. علينا أن نحرص على توضيب كل الملابس اللازمة للرحلة».

فكرت ليز أن تأخذ معها سراويل فضفاضة وقمصاناً قطنية للنهار، فضلاً عن بعض الملابس العملية للمساء. إلا أنها فضلت أن تلزم الصمت حول هذا الموضوع لغاية نهار السبت، لتكتشف ما تتوقعه منها نانسي..

من المؤسف أن كول سيكون موجوداً أيضاً.. لا بد أنه يفكر بالشيء نفسه عنها..

في الواقع، احست ليز بأن نانسي بيرسون تحاول أن تجمعهما معاً عمداً، لتسجل نقاطاً أكثر من ابنها..

لعلها لا تحسن التعامل مع الوقت، ولكنها تتعامل مع الناس بذكاء



حاد.. وها هي نظرة الاعتداد بالنفس تظهر ثانية في عينيها. سألها كول ببرودة: «هل أنت راضية يا أمي؟».

ـ أجل.

وابتسمت له برقة: «شكراً يا عزيزي.. إنني واثقة من أنني ساقضي وقتاً ممتعاً برفقتك يا ليز.. كم يسعدني أن تتخلى عنها من أجلي.. اظنك ستشعر بالضياع من دونها».

ـ يمكن الاستغناء عنها!

سرت قشعريرة على طول عامودها الفقري.. ونظرت إلى كول بعينين مشوبتين بالقلق، وقد خشيت أن تفقد عملها بسبب تقربها من والدته. فهي لا تريد أن تخسر وظيفتها التي تضمن لها حياة هانئة، لا سيما في هذه المرحلة من حياتها.

تقابلت نظراتهما، فقطب كول وقد قرأ في عينيها مدى تأثرها بكلامه:

ـ اعترف بأنني أجد صعوبة كبيرة في العثور على شخص قادر على أن يحل محل ليز.

ونظر إليها بطرف عينه وكأنه يفترض بها أن تعلم ذلك.

ـ في الواقع، خطر لي أن آخذ اجازة خلال غيابها، لأوفر على نفسي ضغط العمل.

حدقت به نانسي وليز مذهولتين، لا تصدقان ما تسمعانه..

إنها المرة الأولى التي يفكر فيها كول بأن يأخذ اجازة من العمل.. فهو يأكل عملاً، ويشرب عملاً ويرقد على فراش العمل.

لا شك أن المفاجآت كانت كثيرة ومتلاحقة اليوم. أما أفضلها على الاطلاق، من وجهة نظر ليز، فهو تقدير كول الواضح لها، الذي اثبته مرات عدة.. مما جعلها تشعر بحالة أفضل.. جعلها ذلك تشعر بأنها مميزة.. ومميزة جداً.

## ٤ ـ الحب هو الداء والدواء

توقع كول أن تشق ليز هارت طريقها إلى قلب والدته، من دون عوائق، ولم يشك لحظة واحدة في قدرتها على القيام بذلك.. ولكن بعد أن حقق لقاؤهما مراده، وقبلت والدته بها رفيقة لها خلال رحلتها ـ شغلت عواقبه الأخرى باله، طوال فترة بعد الظهر، ولم يتمكن من انجاز اعماله انجازاً مثمراً.

أولاً، كانت والدته تعتبره مغفلاً أعمى، والذنب في ذلك ذنب ليز وحدها.

ثانياً، استطاعت والدته أن توقعه في شرك خططها السخيفة لتزويجه، بعد أن وجدت سبيلاً لتجمعه بـ ليز نهار السبت.

صحيح أنه لا يجوز أن يلقي اللوم كله على كاهل سكرتيرته الخاصة، ولكن التغير الجذري في شكلها الخارجي، أوحى لوالدته بتدبير هذا اللقاء الغريب.

ثالثاً، ما الذي حل بصديقها؟

على الرغم من أن كول لم يقابله قط، ولم يخطر على باله إلا هذا الصباح، فقد خيل إليه بأن علاقتهما ترقى إلى زمن بعيد.. وتذكر في تلك اللحظة اسمه.. إنه براندن..

ففي المناسبات القليلة التي كانت تتحدث فيها ليز عن اسفارها، كانت تستعمل صيغة الجمع.. «نحن»..



لعل رحيل صديقها المفاجيء هو سبب تحولها المذهل من فراشة ليل بنية اللون، إلى فراشة زاهية الألوان..

وأخيراً.. لِمَ انتاب ليز القلق بشأن وظيفتها؟

حري بها أن تثق بنفسها أكثر.. إذ لم ينتقد كول عملها قط.. وهي تدرك حتماً مدى كفاءتها..

فمن الغباء أن تظهر امارات الخوف على وجهها عند قوله إنه يستطيع الاستغناء عنها.

كان الوضع برمته مثيراً للسخط.. ولم يخفف انصراف ليز من المكتب من قوة سخطه.. فقرر كول ألا يدع هذه الأفكار تستحوذ على ذهنه غداً.. أو خلال أيام الاسبوع المتبقية.

ربما يجد أجوبة على أسئلته نهار السبت، ويكوّن فكرة واضحة عما يجول في رأس ليز.. فيستعيد بالتالي إحساسه بالراحة قربها.

جاءت ليز نهار الثلاثاء مرتدية ملابس مخططة كجلد النمر، هدّت حزام الراحة الذي أحاط نفسه به كلياً..

وعلاوة على هذه الملابس المثيرة، اختارت ليز صندلاً برونزياً، شريطه متشابك ويصل إلى كاحلها، مبرزاً رقة قدميها.

ظهرت ليز نهار الأربعاء مرتدية تنورة زرقاء داكنة، تعلوها سترة أنيقة من القماش المجعد، بنفسجية اللون، شكلت مع شعرها الأحمر الناري، تركيبة ساحرة.. ووجد كول نفسه يرفع عينيه عدة مرات ليتأملها.

نهار الخميس، ارتدت من جديد، التنورة المنقطة كجلد النمر، مع كنزة سوداء ناعمة، ووضعت في أذنيها قرطين ذهبيين طويلين..

وصعق كول من سيل الأفكار المتدفق في ذهنه.. أفكار لم تطرأ على باله منذ زمن بعيد..

حتى لو لم تكن ليز هارت مرتبطة.. فهو لا يحبذ المزج بين العمل

والمتعة.. ولا يجد من داعٍ للوقوع في شرك الاغراء.

إلا أن الاغراء بلغ أوجه نهار الجمعة، إذ جاءت ليز مرتدية فستاناً برونزياً واحاطت خصرها بحزام عريض، أبرز نحافته، فيما عكست ياقة الفستان وجهها المشرق وشعرها المتوهج..

كان تأثيرها مثيراً، مثيراً للغاية.. وكلما شغلت ليز تفكيره أكثر، بدت في عينيه، فاتنة أكثر..

ولكن عليه أن يدع الأمور على حالها.. فهو ليس مستعداً للارتباط بعلاقة جدية، وكل علاقة عابرة بينهما ستشوه علاقة العمل الوثيقة التي تربطهما.

علاوة على ذلك، لم تكن تصرفات ليز تشير إلى وقوعها تحت تأثير سحره. لأن كفاءتها في العمل لم تصب بأي خلل.. صحيح أنها أصبحت تبتسم له أكثر، إلا أنه عزا ذلك إلى رغبتها بأن تلفت انتباهه إلى ابتسامتها، وثغرها، وعينيها، وكل ما فيها..

على أي حال، كانت ابتسامتها ساحرة ومغرية، ووجد نفسه يبتسم لها والبهجة تملأ قلبه، فرحاً لتقربه منها. إذ لا ضرر أبداً من التودد إليها، طالما أن ذلك لا يتعارض مع نفوذه.. فعلى مدى ثلاث سنوات، عملت ليز معه بانسجام نسبي.. ولكنه يفضل الحفاظ على حدود معينة ضمن اطار العمل.. حدود لا ينبغي تجاوزها.

وبدا جلياً أن ليز رسمت هذه الحدود في رأسها، حين دخلت إلى مكتبه في نهاية النهار، والتوتر بادٍ على وجهها.

ـ بشأن زيارة والدتك.. في منزلها في بالم بيتش غداً..

ـ أجل.. حددي المكان والزمان لأمرّ وآخذك معي.

كانت يداها ترتجفان من شدة الاضطراب: «لا أريدك أن تفعل».

ـ من الأفضل لي أن أفعل.



واسند ظهره إلى كرسيه ليثبت لها مدى استرخائه.

ـ إنني معتادة على استخدام وسائل النقل العامة ولن أواجه صعوبة في الأمر.

ـ ولكنني سأواجه متاعب جمة إن وصلت من دونك.

جاءت نبرة صوته الفاترة مفعمة بمعانٍ خفية.

كشرت ليز وقد تذكرت مشاكساته مع والدته: «لا أريد أن أزعجك يا كول».

ـ لا أحد يزعجني إلا والدتي.. ولكنني لا أجد مانعاً من مجاملتها غداً.

وتناول مفكرته وأضاف: «اعطيني عنوانك».

ازداد ارتجاف يديها: «يمكنني أن انتظرك في مكان ما..».

ـ عنوانك!

ـ لا أريد..

قاطعها سائلاً: «هل من مشكلة إن اعطيتني عنوانك؟».

اجفلت ليز:

ـ أقيم في بوندي جونكشون.. وعليك أن تغير وجهتك لتقلني.

ـ إنها على بعد عشر دقائق من بنلونغ بوينت حيث أقيم.

ـ أضف إلى ذلك عشر دقائق أخرى لتتمكن من الانطلاق في الاتجاه الصحيح.

ـ يمكنني أن امنحك عشرين دقيقة من وقتي.

تنهدت ليز:

ـ ليتك توافق على أن نتقابل في منتصف الطريق.. يمكنني أن استقل القطار..

ـ هل يعترض صديقك على مرافقتك لي؟

خطرت تلك الفكرة في رأسه، فخرجت الكلمات من فمه قبل أن يعي أنه يتدخل في حياتها الخاصة ويضع نفسه في موضع المنافسة.

حدقت ليز به مذهولة، لا تصدق ما حمله سؤاله لها من تلميحات مبطنة.

صعق كول نفسه من تطفله، غير أن حس المحارب الكامن فيه أبى أن يسمح له بالتراجع.. فمنذ اسبوع، ونيران الفضول تتآكله، يتوق بشدة لرفع النقاب عن حقيقة وضعها الحالي.

احست ليز بالدماء تتدفق حارة إلى عنقها، وتحرق خديها، وتضاعف من تألق عينيها..

ـ قلت لك نهار الاثنين إنني لست مرتبطة.

ـ كلا، قلت ذلك لوالدتي، وصبّت جام غضبها عليّ.

ـ إنها الحقيقة!

ـ منذ متى؟ فقبل ذهابك في اجازة طويلة، سمعتك تخططين للسفر برفقة.. أيدعى براندن؟

وتحول فمها إلى خط رفيع من شدة التوتر..

ـ فمنذ أن بدأت العمل عندي، وأنت مرتبطة به.

وتابع كول كلامه، من دون أن يشفق على حالها: «أو ربما قبل ذلك..».

قالت له باعتداد كبير بالنفس: «لقد رحل.. وبت الآن وحيدة».

ـ أظنك تخلصت منه، أليس كذلك؟

ـ كلا.. رحل من تلقاء نفسه.

ـ أتقصدين القول إنه هو من هجرك؟

ـ لم تعجبه طريقتي في إدارة الأمور.

ـ مغفل!



افتر ثغرها عن ابتسامة ساخرة: «شكراً!».

كانت عيناها كئيبتين، خاليتين من أي تعبير.. فرفض براندن لها جرحها في الصميم، واصبحت تقلق حيال أدائها في العمل، وتخشى أن تخسره أيضاً.

وإذ أشبع كول فضوله وتوضحت له صورة علاقتها ببراندن، قال لها:

ـ سأمر لاصطحابك من المنزل.. عنوانك؟

أعطته عنوانها، من دون أن تجادله.. ولكن نبرة صوتها الباردة جسدت إحساسها بالهزيمة، فلم يرق له ذلك.

أرادت ليز أن تبرر محاولتها فرض رغبتها عليه، فدمدمت قائلة:

ـ أردت أن أخفف عنك مشقة الطريق.

ـ أقدر حرصك على الحفاظ على وقتي الثمين يا ليز.

أنهى كول تدوين عنوانها ورفع عينيه إليها ليشعرها بتقديره لها:

ـ إنك تجاملين والدتي كثيراً. وجلّ ما يمكنني أن أفعله لك في المقابل، هو أن أؤمن لك بعض الرفاهية.. هل أمر لاصطحابك عند العاشرة؟

ـ أجل.. شكراً!

كانت الحمرة تعلو خديها، إلا أن ارتجاف يديها أخذ يتلاشى شيئاً فشيئاً.

رسم كول على ثغره ابتسامة رقيقة ليخفف من حدة توترها:

ـ على الرحب والسعة.. وأرجو منك ألا تسايري والدتي غداً.. افعلي ما يبدو منطقياً فحسب.. اتفقنا؟

أومأت ليز برأسها موافقة.

نظر كول إلى ساعته وقال لها: «عليك أن تذهبي لتُحقني بتلك اللقاحات اللازمة للرحلة..».

وابتسم لها من جديد مضيفاً: «هيا انصرفي... أراك في الغد».



www.elromancia.com

ـ شكراً لك.

ولم تحاول ليز أن تخفي ارتباكها من بشاشته المفرطة.

بعد انصرافها، تساءل كول في سره عن سبب تلك البهجة التي ملأت قلبه.. تأكده من عدم ارتباط ليز بأحد ليس السبب.. فالأمر لا يعنيه مطلقاً.. لا... أبداً...

لا بد أنه يشعر بالارتياح لحله الألغاز التي كانت تحيط بها هذا الأسبوع، وأصبح التغير الجذري الذي قامت به على صعيد شكلها الخارجي منطقياً في نظره. فمن الواضح أن براندن يميل إلى النقد، وفضلت ليز أن تخفي حقيقتها حتى لا تقع في مصيدة انتقاداته اللاذعة.

عليها أن تشكر الله على خروجه من حياتها.. يبدو جلياً أنه أحبط من عزيمتها.. وتنبه كول إلى أن زوجته السابقة اتهمته بالشيء نفسه.. ولكنه أقر في نفسه بخطأه؛ فقد كان من الأسهل عليه أن يتحمل مسؤولية انهيار زواجهما كاملة من أن يضع اللوم عليها.. لم يكترث للأمر حينها.. لأن ما جمع بينهما، مات مع موت طفلهما.

أخذ الإحساس بالأسى والذنب يشق طريقه، شيئاً فشيئاً، إلى عقله، ولكنه دفعه بعيداً.. إنها مشاعر تافهة لا طائل يرجى منها.. فما ولى قد ولى، ومن المحال تغيير ما حصل.. وعليه الآن أن ينجز أعماله..

حاول أن يركّز اهتمامه على الأرقام الظاهرة على شاشة الكومبيوتر أمامه.. فتسلسلها المنطقي يروق له، لأن الأرقام لا تكذب أو تخدع أو تشوه الأمور.. وكول يشعر بالارتياح برفقتها، تماماً كما عاد يشعر بالارتياح قرب ليز هارت.. إذ جلّ ما كان عليه أن يفعله هو أن يعيد الأمور إلى نصابها..

لن يكترث غداً لملابسها، لأن شكلها الخارجي لن يثير ارتباكه، بعد أن فهم أسبابه.. أما الجاذبية الجسدية، فمجرد شذوذ مؤقت وعليه أن يتخلص



منها.

رن جرس الهاتف في المكتب، فعبس منزعجاً... كانت ليز تجيب عادة على الاتصالات الواردة قبل أن تحولها إليه... لذا لم يكن معتاداً على التحدث مع زبائنه، من دون سابق إنذار.. إلا أنه وجد صعوبة في تجاهل طنين الهاتف فمد يده ورفع السماعة قائلاً: «بيرسون».

ـ كول... أخيراً...

سمع صوت زوجته السابقة المميز عند الطرف الآخر من الخط.

ـ تارا!!

لفظ اسمها بنبرة خلت من أي تعبير... إذ لم يكن لديه ما يقوله لها.. وأحس بتوتر عدائي يستحوذ على جسمه كله استعداداً لمواجهة كل ما قد تقوله له.

ـ حاولت الاتصال بك خلال عطلة نهاية الأسبوع ولم أجدك في المنزل..

ـ كنت مع والدتي في بالم بيتش..

قاطعها ممتعضاً من نبرتها التي توحي وكأنه خاتم في إصبعها..

منذ انفصالهما وهي تقضي أوقاتها تتنقل من رجل إلى آخر، محررة إياه من إحساسه بالالتزام بتلبية حاجاتها.

ـ والدتك..؟

قالت ذلك بنبرة ساخرة.. فاهتمام كول الدائم بوالدته، بدلاً من أن يكرس وقته كله لتحقيق رغبات تارا، ومشاركتها في نشاطاتها الاجتماعية الحافلة، شكّل نقطة من نقاط الخلاف الكثيرة بينهما.

وعلى الرغم من حملها وإنجابها لطفلهما، لم تحاول تارا أن تخفف من ارتباطاتها الاجتماعية الكثيرة.. وغالباً ما كانا يخرجان للسهر ليلاً تاركين دايفيد في رعاية المربية.

ـ ادخلي في صلب الموضوع.

تأففت من فظاظته ثم قالت له بنبرة ناعمة متملقة:

ـ تعلم جيداً أننا سنوقع على معاملات الطلاق في نهاية الأسبوع المقبل.

ـ دونت التاريخ على مفكرتي.

ـ خطر لي أن نتقابل..

ـ أظن أن المحاميان عالجا الموضوع من جوانبه كافة.

جاء رده موجزاً، متوعداً، وقد ظن أن تارا تريد أن تأخذ منه أكثر مما تنازل لها عنه، ضمن اتفاقية الطلاق.

ـ عزيزي... كنت في غاية الكرم معي... ولكن.. أتريد ذلك حقاً؟

اقشعر بدن كول، فسألها بحدة: «ماذا تقصدين؟».

أخذت نفساً عميقاً: «قابلت رجالاً كثر بعد انفصالنا لكنني لم أجد بينهم رجلاً واحداً مثلك... وقيل لي إنك امتنعت عن الارتباط بأحد سواي طوال هذه المدة... فلو لم يمت دايفيد..».

صر كول على أسنانه: «كان موته السبب في تدهور علاقتنا.. واستسلم كل واحد منا لأحزانه».

وأخذت نفساً عميقاً من جديد واستطردت تقول: «لكن الزمن يمحو الأحزان.. قضينا معاً أياماً جميلة.. وحري بنا أن نأخذ فرصة أخرى..».

ـ كلا!

أحس بسيل من المشاعر السلبية الجامحة تتأجج في داخله.

ـ يمكننا أن ننجب طفلاً آخر يا كول..

تابعت تارا كلامها متجاهلة رده، وقد عقدت العزم على إثارة عطفه بنبرة صوتها الرقيقة الواعدة بالكثير...

ـ علينا أن نلتقي معاً لنتحدث في الموضوع.. يمكننا أن نلتقي ظهر الغد..



أجابها كول على الفور وقد أثار عرضها الأناني اشمئزازه: «انسي الأمر».

لم ترغب تارا يوماً بإنجاب الأطفال، ولم تكترث لأمر دايفيد بتاتاً، تاركة لكول والمربية مهمة الاعتناء به وتدليله.. تلك المربية التي أصيبت بالذعر أكثر من أمه يوم...

ـ سأتناول الغداء غداً مع أمي.

قال لها ذلك ببرودة مطلقة، مشدداً على رفضه رفضاً قاطعاً تغيير خططه:

ـ لن أوقف معاملات الطلاق مهما حصل.. فعلاقتنا انتهت منذ زمن بعيد، ولا أريد أن أحييها مجدداً.

ـ لمَ ترفض أن نلتقي؟ يمكننا أن نتحدث معاً..

ـ قلت لك انسي الأمر... وأنا أعني ما أقوله.

أقفل سماعة الهاتف وأطفأ جهاز الكومبيوتر، ثم نهض من مكانه وغادر المكتب وقد شعر بحاجة ماسة لممارسة الرياضة في صالة الألعاب الرياضية التي يقصدها مرتين في الأسبوع.

لقد أغوته تارا بجسدها المثير، فأعماه شغفه بها عن سيئاتها ووقع أسير شهوة زائلة، راحت تتضاءل مع مرور الأيام، وسقوط الأقنعة التي أخفت خلفها زيفها.

كان مستعداً للحفاظ على زواجه من أجل دايفيد لكنه يأبى أن يعطيها فرصة أخرى.. مستحيل.. أبداً..

إن أراد الزواج ثانية، سيختار امرأة مثل.. وابتسم ساخراً وقد سيطرت صورة ليز هارت على ذهنه..

فليز التي تحاول ببسالة أن تخرج من الكآبة التي أغرقها فيها حبيبها السابق، لم تتوانَ عن تجديد شكلها الخارجي مثيرة فيه مشاعر لا تتلاءم بنظره مع المكان والزمان.

لا شك أن ليز تتوق حالياً لأن تشعر بأنها مرغوبة.. إنه أفضل ترياق للتخلص من السم.. الاحساس بالنبذ.. إلا أنه الشخص غير المناسب في المكان غير المناسب.

كانت ليز تحتاج للاعتماد عليه، بصفته رب عملها، من دون أن تجد نفسها فجأة أمام شخصيته الأخرى التي لا يظهرها خلال العمل.

وبقي سؤال يتردد باستمرار في رأسه «هل ليز هارت هي الترياق الملاءم للتخلص من آثار تارا القديمة السامة؟»

يا لها من فكرة مجنونة!

من الأفضل له أن يطردها أيضاً من رأسه.

## ٥ ـ هناك دائماً مرة أولى!

حالف ليز الحظ، ولم تأخذ الاجراءات وقتاً طويلاً في المركز الطبي..

شعرت ليز بالارتياح وقد أنجزت كل شيء، وتمنت لو تسافر في الغد بدلاً من مرافقة كول بيرسون إلى منزل والدته.

وبدأ الخوف من قوة احساسها به كرجل يدب في قلبها... فعلى مدى ثلاثة أعوام بقي كول بيرسون في نظرها رب عملها فحسب.. لكن خلال الأسبوع الماضي، وجدت نفسها تنظر إليه بطريقة مختلفة.. وتتفاعل معه بطريقة مختلفة، مطلقة العنان لعقلها، ليسهب التفكير في جاذبيته القوية لاسيما حين يبتسم.

شقت ليز طريقها وسط الازدحام الخانق، واستقلت القطار إلى بوندي جونكشون وهي تؤكد لنفسها أن اللوم كله يقع على شقيقاتها، اللواتي دفعنها للنظر إلى كول بعين مختلفة.. ولكن الوقت لا يزال مبكراً للتفكير في إمكانية زواجهما.. ففي بادىء الأمر يجب.. كلا... إياك أن تخطي خطوة واحدة نحو علاقة حميمة..

فإن دارت هذه الأفكار في رأسها غداً وهما في طريقهما إلى بالم بيتش قد تبدر عنها ردة فعل أو نظرة مريبة، يعتبرها كول إنذاراً بالمتاعب... متاعب يفضل أن يتحاشاها..

وبعد الحديث الذي دار بينهما، لا بد أنه ربط الأمور ببعضها وتوصل إلى جواب قابل للتنبؤ به سلفاً.. فإن جمع ما بين رحيل صديقها وصورتها الجديدة، لوجد أن هدفها هو اصطياد رجل مناسب.



www.elromancia.com

كانت ليز تفضل أن تنشق الأرض وتبلعها، إن خطر له في لحظة من اللحظات أنها تريد اصطياده.. لأنها لا تفعل.. فمن المحال أن تعرض وظيفتها للخطر وتجازف بخسارتها إن فشلت علاقتهما، على الصعيد الشخصي..

وتنبهت ليز إلى أن إحساسها بالأمان أخذ يتلاشى.. فهي لم تكن مرتاحة لحضوره غداً إلى منزلها لاصطحابها، وإعادتها عند المساء..

لا بد أنها ترجلت من القطار في بوندي جونكشون وسارت نحو شقتها من دون أن تعي ذلك لأن الأفكار بقيت تتدافع في رأسها إلى أن أيقظها رنين جرس الهاتف في المطبخ من شرودها.

كانت ديانا على الخط: «كيف كان نهارك؟».

بدت ديانا متلهفة لسماع ما حصل، آملة أن تحقق جهودها النتيجة المرجوة.

ـ ذراعي تؤلمني من الحقن!

أحست ليز بالخجل من الدخول في التفاصيل الأخرى.

ـ هيا يا ليز... فالفستان البرونزي تحفة فنية.. ولا بد أنه أثار انتباهه.

ـ حسناً.. لفت انتباهه..

وكان خداها يتضرجان خجلاً كلما رأته يتأملها.

ـ لكنه لم يقل شيئاً.

انفجرت ديانا ضاحكة: «أظن أن الخطة بلغت هدفها».

أجابتها ليز:

ـ أظن أن الفستان أثار انتباهه وغضبه في آن معاً... هل نسيت ردة فعله نهار الاثنين؟

ـ إنه تأثير الصدمة فحسب.. إنها الطريقة الوحيدة لينظر إليك بها من منظار آخر.. ولا تقلقي بشأن غضبه.. فالغضب علامة جيدة وخير دليل



على تأثيرك عليه.

ـ لكنني لا أعرف ما إذا كنت أريد فعلاً التأثير عليه يا ديانا... أمضيت أسبوعاً صعباً للغاية.

ـ لا يمكنك بلوغ هدفك من دون جهد.

أدارت ليز رأسها لدى سماعها هذا القول.

ـ اسمعي!

ثم صرخت ساخطة:

ـ كان الوضع مختلفاً بالنسبة إليك لأن وظيفتك لم تكن تفرض عليك أن تتعاملي مع رب عملك بصورة دائمة...

ـ لا داعي لأن تثوري غضباً يا ليز فكول بيرسون من النوع الذي يتخذ المبادرة.. وجلّ ما عليك فعله هو أن تدعي الأمور تأخذ مجراها.

ـ ماذا لو..

قاطعتها ديانا وقد عيل صبرها:

ـ ما رأيك لو تعطي نزعتك تلك للسيطرة على الأمور إجازة لبعض الوقت؟ فالعفوية هي مفتاح الحل... سيري مع التيار لتري إلى أين سيقودك..

وردت ليز في سرها بأنه سيقودها حتماً إلى البطالة ولن تتمكن بعدها من تسديد الرهن... ولكن نصيحة ديانا كانت مغرية... فمنذ زمن بعيد وهي تحكم سيطرتها على كل شيء.. فماذا حل بها؟

كانت ديانا محقة بشأن كول.. فقد رفض بلباقة كل الاقتراحات التي تقدمت بها لتخفف عنه عناء اصطحابها إلى بالم بيتش، لأنه يفضل القيام بالأمور على طريقته...

ـ لعله لا يريد الإقدام على أي خطوة.

قالت لها ذلك وقد تشوشت أفكارها ولم تعد واثقة مما تريده.



www.elromancia.com

ـ سيصطحبك غداً للقاء والدته، أليس كذلك؟

تمنت ليز في سرها لو أنها لم تفشِ لديانا بكل شيء مساء الاثنين، فدمدمت قائلة:

ـ علينا أن نتحدث معاً بشأن الرحلة.

ـ ارتدي البزة الصفراء الفاتحة، وضعي الحزام الجلدي واتركي الزر العلوي للسترة ذات الكمين القصيرين مفتوحاً.

ـ إنها مناورة صريحة.

ـ كلا... إنه السبيل الوحيد ليدرك بأنك تغلبت على انغلاقك على نفسك.. لا تنسي أن تضعي عطر جورجي.. فهو يليق بك.

ـ لا أحسن القيام بذلك ديانا.

ـ افعلي ما أقوله لك فحسب.. عليّ أن أقفل الخط.. وصل وارد إلى المنزل.. حظاً سعيداً غداً.. ولا تنسي أن تبتسمي كثيراً.

أطلقت ليز تنهيدة عميقة وهي تقفل الخط.. فقد تحولت مسألة ارتباطها بكول بيرسون إلى حملة شخصية، تشنها شقيقتها الصغرى.. وعبثاً حاولت ليز أن تكبح جماحها..

لعل الفائدة الوحيدة التي ستجنيها من ذلك كله، هي أنها لن تجد متسعاً من الوقت لترثي رحيل براندن، وتركها وحيدة.

وبدلاً من أن تشغل بالها بكول وتفكر في طريقة ملائمة للتعامل معه، عليها أن تشعر بالامتنان نحو آل بيرسون ـ الأم وابنها ـ لأنهما سيشغلان غداً وقتها كله.

فضلاً عن ذلك عليها أن تبدأ منذ الصباح بتنفيذ تعليمات ديانا بحذافيرها... فالبزة التي اختارتها لها ستثير إعجاب نانسي بيرسون حتماً، لأنها أنيقة جداً وتتناسب مع زيارتها لبالم بيتش، معقل الأثرياء..

رن جرس الباب عند العاشرة إلا خمس دقائق... أتراه أخذ وقتاً أقل



مما كان يتوقع ليصل إلى منزلها أم أنه متلهف للذهاب إلى بالم بيتش؟

التقطت ليز حقيبة يدها وهي تتوجه نحو الباب ليدرك بأنها جاهزة للانطلاق... لم تتوقع أن تتقطع أنفاسها لثوانٍ قليلة عند وقوع عينيها عليه.. ولكنها المرة الأولى التي تراه فيها مرتدياً ملابس مختلفة عن بذلاته الكلاسيكية الرفيعة الذوق.

فاجأتها رجولته الصارخة.. إذ ارتدى قميصاً سوداء وسترة جلدية سوداء، وكفين من الجلد الأسود، وسروالاً من الجينز الأسود وترك شعره الأسود الداكن مبعثراً قليلاً فبدا في عينيها نابضاً بحيوية جامحة.

أما عيناه الزرقاوان، فكانتا مكهربتين وصوبتا شحنة كهربائية نحو قلبها فأصابته في الصميم.

حياها مبتسماً:

ـ مرحباً... تحتاجين إلى وشاح لشعرك.. فالطقس جميل جداً، وفضلت أن أرفع غطاء السيارة.

وشاح... وتناهى إلى مسمعها صوت ديانا تقول لها إن الوشاح المنقط كجلد النمر يفي بالغرض.

ـ سأعود في الحال.

واستدارت على عقبها متوجهة نحو غرفة نومها وقلبها يتخبط بين ضلوعها، تاركة كول واقفاً عند عتبة الباب، وقد غاب عن بالها أن تدعوه للدخول.

على الرغم من أنها لم تتأخر في العودة فقد دخلت ليز إلى غرفة الجلوس لتجد كول فيها، يجول بعينيه في المكان.

ـ إنه منزل فسيح... والسقف عالٍ وجميل.

قال لها ذلك بنبرة مفعمة بالإعجاب، فأجابته وهي في طريقها إلى الباب وقد أغاظها تطفله ولم تشأ أن تدعه يتجول في المنزل.

- بني عام ١٨٣٠.

سألها بفضول: «أهو ملك لك أم أنك استأجرته؟».

- إنه ملك لي إلى حد ما... لم أسدد القرض المصرفي بعد.

- إنه استثمار جيد.

- أظن ذلك.. كان همي الأساسي أن أحظى بمنزل لي.

قال بنبرة ساخرة: «غالباً ما تحظى المرأة بمنزل لها بعد الزواج».

أو بعد الطلاق!

وتساءلت ليز في سرها عن حجم المكاسب التي جنتها زوجته السابقة منه، وقد ساورها الشك في أن تكون هذه التجربة وراء ابتعاده عن أبناء جنسها.

- حسناً.. لم أكن أتوقع أن يحصل ذلك.

قالت ذلك بنبرة جافة وهي تمسك بالباب وتشير له بالخروج.. إشارة تعمد أن يتجاهلها.

سألها وقد رفع حاجبه ساخراً: «أتحيين الاستقلالية؟».

هزت كتفيها بلا مبالاة: «ليس بشكل خاص.. ولكنني تعلمت أن أتكل على ما يمكنني الاتكال عليه».

أجابها بلهجة حملت بين ثناياها شيئاً من التعاطف: «إنه درس صعب حقاً!».

أتراه تعلمه هو أيضاً؟

أمسكت ليز لسانها، بعد أن قرر أن يغادر الشقة ويقف أمام الباب منتظراً لتقفله خلفهما...

لم تستطع أن تسبر طبيعة هذا الحديث.. ربما كانت مجرد دردشة عادية... ولكن كول لا يقول عادة كلاماً لا مغزى له.

تملكها إحساس بأنها مستهدفة على الصعيد الشخصي... وشعرت



بالارتياح لالتزامه الصمت وهما ينزلان السلالم... ولكن الصمت الذي خيم عليهما ضاعف إحساسها به وهو يمشي إلى جانبها.. فتنفست الصعداء حين أصبحا في الهواء الطلق.

كان الطقس جميلاً حقاً... فشمس الشتاء رائعة وتشع حرارة، والسماء الصافية الخالية من الغيوم تطرد من الأذهان الأفكار السوداء، وترفع المعنويات واعدة بنهار مدهش..

قالت ليز بحماسة شديدة وقد ارتسمت على ثغرها ابتسامة عريضة لم تستطع كبتها:

- من حسن حظنا أننا لن نقضي النهار بين جدران المكتب.

أجابها كول مبتسماً ابتسامة ألهبت أوصالها، أكثر من حرارة الشمس: «أوافقك الرأي».

لم تستطع ليز أن تمنع نفسها من التعليق قائلة: «حسبت أن العمل هو هدفك الأسمى في الحياة».

لمعت عيناه الثاقبتان: «تتخطى حياتي هذا الحد بقليل...».

تسارعت دقات قلبها.. أتراه يغازلها؟

- حسناً.. من الواضح أنك تهتم كثيراً لأمر والدتك..

- ثمة أشياء أخرى أيضاً، تستحق أن أوليها اهتمامي.

رماها بابتسامة ساخرة، فأحست بنبضها يشتد ويحثها على تحديه: «مثل ماذا؟».

انفجر كول ضاحكاً.. إنه يجيد الضحك.. حدقت ليز به مصعوقة، لأنها لم ترَ أو تسمع كول بيرسون يضحك من قبل.. فقد بدا لها أصغر سناً.. وطلق الوجه.. وجذاباً جداً جداً.. باختصار، مذهل فعلاً!

لم تغفل عنها علامات التسلية الخبيثة البادية في عينيه الزرقاوين.. فسألته وقد علت الحمرة خديها ارتباكاً: «ما الذي يضحكك».

ـ أنا . . وأنت . . وها قد وصلنا!

وأشار إلى الحاجز الحجري، محولاً نظرها إلى السيارة المركونة إلى جانبه.

صحيح أنه قال لها إنه رفع غطاء السيارة ليلفت انتباهها إلى أنه يقود سيارة يمكن رفع الغطاء عنها، ولكن خيل إليها أنه أحضر سيارة ب.م.و سطحها قابل للطي، أو سيارة مرسيدس رياضية، أو حتى سيارة رولز رويس باهظة الثمن، لكن فخمة وتقليدية شأنها شأن بذلات آرماني.

وجدت ليز صعوبة في أن تجمع ما بين السيارة المركونة أمامها، ورب العمل الذي عرفته منذ سنوات طويلة . . . حدقت في السيارة السريعة الفضية اللون مذهولة وتسمرت قدماها على الرصيف، فيما تقدم كول نحوها ليفتح لها الباب.

ـ تقود سيارة ماسيراتي؟!

جاء صوتها حاداً وشبه مخنوق . . أجابها موضحاً:

ـ أجل . . إنها من نوع سبايدر كامبينو كورسا.

عادت ليز تردد وهي تنظر إليه مصعوقة: «سيارة ماسيراتي!».

ـ هل من خطب في ذلك؟

هزت رأسها بالنفي وقد تمكنت أخيراً من أن تربط في ذهنها ما بين ملابسه المثيرة وسيارته المثيرة، ثم صاحت قائلة: «إنه تغيير جذري!».

أجابها بتهكم: «أهلاً بك في النادي!».

ـ عفواً؟

وقفت ليز حائرة أمام كول بيرسون الجديد فأحست وكأنه عدّل أبعاد شخصيته السابقة كلها، ليظهر لها قوة مختلفة كل الاختلاف وتضاعف إحساسها بأن علاقتهما تشهد تغيراً خطيراً حين راح يتأملها من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها، فأسرعت الحمرة تغزو خديها . .

ـ من الصعب أن تنكري بأنك أخضعتني لتغيير جذري هذا الأسبوع!



قال لها ذلك بصوت فاتر ثم أضاف: «واخترت المكتب للقيام به وليس عطلة نهاية الأسبوع».

أتراه اعتراف صريح منه بالانزعاج عينه الذي سيطر عليها في هذه اللحظة؟ . .

ـ أهذه صورتك في عطلة نهاية الأسبوع؟

قالت له ذلك محاولة أن تعيد الأمور إلى نصابها.

ـ إنها جزء مني!

ومض في عينيه وميض التحدي، فيما كان يشير لها بيده إلى المقعد الجلدي الوثير قائلاً:

ـ هلا انطلقنا؟

تردد صدى كلمات ديانا في رأسها . . «سيري مع التيار» . . فأرغمت نفسها على التقدم إلى الأمام وارتمت في المقعد بخفة لتدخل بعدها رجليها. وإذ أقفل الباب خلفها قالت له بصوت خفيض:

ـ شكراً لك.

ثم ابتسمت له وأضافت: «لا شيء أفضل من تجربة جديدة».

ـ ألم تركبي سيارة سريعة من قبل؟

ـ إنها المرة الأولى.

ـ يبدو أننا سنفعل معاً أشياء كثيرة للمرة الأولى.

وتساءلت ليز عن الأشياء الأخرى التي تنتظرهما، وهي تحدق به يجلس في المقعد المجاور لها:

ـ لا تنسي حزام الأمان.

قال لها ذلك وهو يشد حزام الأمان الخاص به.

ـ صحيح!

راح يتأملها وهي تشده حول جسمها وتدخله في مكانه.

ـ الوشاح!

تورد خداها وأسرعت تغطي شعرها بالقماش الشفاف المنقط كجلد النمر، وتلفه حول عنقها لتعقد بعدها طرفيه في الخلف.

ـ النظارات الشمسية!

كان الوضع أشبه بالعد العكسي الذي يسبق موعد الانطلاق.

لحسن الحظ أنها وضعت نظاراتها الشمسية في حقيبة يدها... فتناولتها في الحال، وأسرعت تضعها على عينيها لتتمكن من النظر إليه على سجيتها من خلف العدسات الملونة.

ابتسم لها ابتسامة لامبالاة وهو يضع نظاراته على عينيه وقال:

ـ كلما نظرت إلى وشاحك الأشبه بجلد النمر، تساءلت ما إذا كنت تتوقين إلى رحلة في البراري.

وقبل أن ينتظر ردها، والحمد لله أنه لم يفعل لأن أفكارها تشوشت ولم تعد قادرة على الرد عليه أدار المحرك وانطلق ينهب الأرض نهباً وأشعة الشمس تلفح وجههما، والريح تداعب شعرهما، والأفكار الغريبة تتدافع في رأس ليز..



## ٦ ـ صغيرة ولكن...

لم تستطع ليز أن تسيطر على الاحساس الغريب الذي تملكها وهي تركب سيارة الماسيراتي...

وكلما توقفا عند الإشارة الضوئية، كان المارة ينظرون إليهما بعيون حاسدة، ويتأملونهما ملياً متسائلين من تراهما يكونان هذان الثريان، ليمتلكا سيارة الأحلام تلك؟

وإذ اندمجت ليز في المشهد إلى حد الاستمتاع به، وجدت نفسها تنفجر ضاحكة بعد أن اجتازا إحدى الإشارات الضوئية. فسألها كول: «ما الذي أثار حس الفكاهة فيك؟».

ـ أشعر وكأنني ملكة سبأ وعنتالة في آن معاً.

ـ هلا وضحت لي!

أعادتها كلماته المقتضبة ولهجته الآمرة إلى واقع كول المألوف.. فأجابته بنبرة مفعمة بالبهجة:

ـ إنها السيارة... فالناس ينظرون إلي وأنا إلى جانبك وبخالونني إنسانة مميزة.

ـ أتجدين ذلك مضحكاً؟

ـ إنه مضحك فعلاً.. أليس كذلك؟.. أقصد.. أنت إنسان معروف.. ولكنني مجرد موظفة عندك..

ـ لست أدري..



www.elromancia.com

والتوى فمه وهو يرميها بنظرة عجل:

ـ إنك تحملين اليوم سمات ملكة سبأ!

لم تكن هذه الملاحظة أشبه بالملاحظات التي يوجهها رب العمل! فحاولت أن تخرج من هذه الورطة بالضحك، ولكنها لم تكن متأكدة من أن ضحكتها جاءت طبيعية..

وشكرت الله في سرها لأنها كانت تضع نظارات سوداء خففت من حدة نظراته الثاقبة..

نظر إليها مطولاً ثم استطرد يقول:

ـ ولمَ لا يخالونك مميزة؟ فأنا أجدك مميزة حقاً.

أخذت ليز نفساً عميقاً، علها تستعيد رباطة جأشها:

ـ لم أكن أقصد ذلك يا كول... السيارة الفخمة.. والثروة الطائلة.. كلها أشياء بديهية بالنسبة إليك.. لكن الأمر يختلف بالنسبة إلي.

سألها ساخراً: «أتصنفين كل إنسان ولد ثرياً بالمميز؟».

ـ إنه يتمتع، على الأقل، ببعض الامتيازات.

ـ هذا صحيح... ولكن ذلك يجعله في معظم الأحيان فاسداً وليس مميزاً.

وهز رأسه ثم تابع يقول:

ـ اشتريت الماسيراتي لأنني أحب أداءها العالي الجودة.. واخترتك سكرتيرتي الخاصة لأن كفاءتك المهنية عالية أيضاً.. وأظن أن هذه السيارة تليق بك أكثر من أي امرأة أخرى جلست في مكانك.

غير تارا سامير فيل الرائعة الجمال؟

لم تصدق ليز أذنيها.. لعله اشترى السيارة بعد انفصاله عند زوجته..

ولكنها عادت وتنبهت إلى أنه ذكر الأداء وليس الشكل، مقتصراً مديحه على الناحية المهنية.. فأحست بشعلة سرورها تنطفىء في مهدها.



قالت له بنبرة جافة:

ـ أتعلم شيئاً؟ لا أظن أن مقارنة المرأة بمحرك السيارة قد يجعلها تشعر بأنها مميزة.

انفجر كول ضاحكاً: «بمَ علي أن أجيبك؟».

وقطب جبينه وكأنه يحصر تفكيره ثم استطرد يقول:

ـ أظنك كنت تخدعين نفسك طوال فترة علاقتك ببراندن.. ولكنك تحررت الآن منه، فأشرق نور حقيقتك، وسطع على جميع المحيطين بك، الذين أدركوا كم أنت مميزة... وهذا يعني بأنك لا تخدعين أحداً اليوم...

وابتسم لها ابتسامة عريضة وأضاف: «ما رأيك؟».

أرادت أن تضحك لأن كلامه مبالغ فيه.. ولكنه أثار فيها أحاسيس جميلة.

ـ لم يكن براندن السبب.

وأرغمت نفسها على الاعتراف قائلة:

ـ فمنذ زمن بعيد وأنا أواجه مشكلة مع احترامي لذاتي.

سألها، وقد بدا واضحاً أنه لا يجد مبرراً لذلك: «ما سبب ذلك؟».

هزت ليز رأسها، آبية أن تتيح له الفرصة ليحلل حياتها:

ـ دعني أستمتع «بنوري المشرق».. فهذه الكلمات تكفي لوحدها لأبقى مبتسمة طوال الرحلة..

أرادت أن تثبت القول بالفعل فرمته بابتسامة لم يرَ بجمالها من قبل. هزّ رأسه والحيرة بادية على وجهه:

ـ هل تشعرين بالرضا إن قلت لك إنني أحترمك أشد الاحترام؟

ـ شكراً لك.. لطف منك أن تقول لي ذلك.

ـ أظنك ستضيفين كلمة «لكن»..



www.elromancia.com

تحولت ابتسامتها إلى حزن:

ـ أخالك تحترمني لأنني أنفذ أوامرك كلها.. يسرني جداً أن أحظى باحترامك.. أرجو ألا تخال العكس.. لكنني لطالما تساءلت ما إذا كان الذكاء لعنة أكثر منه عطية من الله.

ـ إنها نعمة من الله.. ومن الغباء ألا تستغليها.. لن تشعري بالارتياح مع نفسك إن حاولت إنكارها..

ـ ولكنني لا أشعر بالسعادة بالعيش في عالم خاص بي... أريد..

وتوقفت فجأة عن الكلام وقد أدركت أن حديثهما أخذ منحىً شخصياً.. ولا شك أنها ستشعر بالإحراج فيما بعد، لاسيما نهار الاثنين حين ستواجه كول من جديد في المكتب.

قال لها ملحاً: «تابعي كلامك».

فحاولت أن تغير الموضوع: «كل الأشياء التي تود النساء عادة الحصول عليها».

ـ أوافقك الرأي.

تنفست ليز الصعداء حين اكتفى كول بهذا الحد... فقد سمحت لنفسها بأن تطلق العنان للسانها ليفضي بمكنونات قلبها، من دون أن تراجع عقلها، بعد أن وجدت كول يغزو حياتها الخاصة ويجعل من نفسه طرفاً فيها.

انتقلت بعينيها إلى يديه المكسوتين بقفازين جلديين، والمثبتتين على مقود السيارة... إنها القوة البشرية التي تتحكم بالقوة الآلية...

اعترتها قشعريرة خفيفة، تحذرها من ألا تقع ضحية تخيلاتها المغوية.. ولكنها وجدت صعوبة في السيطرة على نفسها أمام صورة كول الجديدة، والسيارة التي يقودها والأحاديث الخاصة التي يتناولها..

لم تجد أمامها سوى أن تركز اهتمامها على المشاهد التي كانت تمر أمامها..



علاوة على جمال الرمال والبحر، لفتت انتباهها المنازل الأسطورية المنتشرة على طول الطريق، والتي تضاهي بجمالها أثمن اللوحات في العالم...

لم تقصد ليز هذه البقعة من سيدني من قبل، ولا تعرفها إلا من خلال ما سمعته عنها.. فكانت سعيدة حقاً برؤيتها للمرة الأولى.

وصلا في نهاية المطاف إلى بالم بيتش، الواقعة عند طرف شبه الجزيرة، حيث القصور الشاهقة تطل على المحيط.

أدار كول سيارة الماسيراتي بشكل نصف دائري، ليسلك طريقاً فرعية تقود إلى فيللا فخمة، متوسطية الطراز، تحيط بشرفاتها أعمدة ضخمة.

كانت جدران الفيللا مطلية بلون زهري مائل إلى القشدي وتشع تحت أشعة الشمس بشكل فتان.

شهقت ليز إعجاباً وقد لفتت انتباهها بركة الدلافين في وسط المرجة الأمامية، والأشجار الشاهقة، التي كانت تحف بجانبي الطريق الفرعية.

قال لها كول بنبرة تدل على الإحباط:

ـ إنه كبير جداً بالنسبة لوالدتي، وتكلف صيانته مبالغ طائلة، لكنها تأبى أن تتخلى عنه.

ـ لو كنت مكانها لما فعلت.

قالت ذلك بحرارة وهي ترمق ابن نانسي بنظرات مؤنبة.

ـ أظنها تحبه كثيراً، وستصاب حتماً بصدمة قوية إن تخلت عنه.

ـ لكنها تعيش وحيدة بعيدة عن المدينة، ولم تعد صغيرة في السن.

أدركت ليز في الحال وجهة نظره: «إنك قلق عليها...».

أوقف كول سيارة الماسيراتي وأطفأ المحرك ثم أعلن لها: «إنها أمي!».

وهو يحبها كثيراً... مما يعني أنه اجتاز اختبار انتماءه إلى عائلة متماسكة، خلافاً لبراندن...

لجمت ليز أفكارها الجامحة، وحاولت أن تضعها على الطريق الصحيح.

ـ سأعتني بها جيداً يا كول.

ابتسم لها: «أعلم بأنني أستطيع الاعتماد عليك... صحيح أن صديقك السابق لم يقدر حسك بالمسؤولية، لكنني أفعل... وتذكري جيداً بأنني نادراً ما أعتمد على أحد في شيء...».

خيل إليها خلال السنة الماضية أنه يتمتع بنوع من الاكتفاء الذاتي... اكتفاء ذاتي محفوف بالبرودة... فأحسّت بلذة عامرة وهي تسمعه يعبر صراحة عن اتكاله عليها...

وأدركت للحال أن الرجل لا يستطيع العيش معزولاً، والمرأة كذلك الأمر..

كانت ليز تعي جيداً أن بعض الأسئلة بقيت معلقة، أسئلة سلط كول الضوء عليها حين قارن نفسه ببراندن...

نزع كول نظاراته الشمسية ودسها في جيب سترته الجلدية... فأسرعت ليز تنزعها بدورها.. كانت على وشك أن تقابل والدته للمرة الثانية، ولم تشأ أن تضع بينهما حواجز دفاعية..

ـ أتريدين أن تنزعي وشاحك قبل أن ندخل؟

كيف نسيت وشاحها على شعرها؟

جلس كول يتأملها وهي تحل الغطاء الواقي عن شعرها، وتدسه تحت ياقة سترتها تاركة طرفيه متدليين من الجهتين. ثم أخذت من حقيبة يدها فرشاة للشعر، وسرحت بها شعرها الذي بعثره الهواء.

التفتت نحوه وسألته: «ما رأيك؟».

لم تكن عيناه الزرقاوان باردتين بل بدتا متوهجتين وهما تتأملان وجهها وشعرها فتضرج خداها خجلاً، وهي تسمعه يقول لها بنبرة هادئة: «إنك جميلة ومشرقة!».

وأسرع ينزل من السيارة ويتوجه نحو بابها ليفتحه لها، من دون أن يترك



لها الفرصة لتفك حزام الأمان.

وإذ حررت نفسها وأخرجت رجليها من السيارة ووضعتهما على الأرض، مد لها يده ليرفعها من مكانها.. فلبت دعوته من دون تردد، إلا أن قبضته أرسلت شحنة كهربائية على طول ذراعها.. وعندما أوقفها على رجليها وجدت نفسها على مقربة منه، فأحست به ضخم الجثة...

داعبت أنفها رائحة الجلد الممزوجة برائحة عطره... وتنبهت إلى أن كتفيها بدتا صغيرتين جداً مقارنة بكتفيه العريضتين.. مما أثار فيها إحساساً بهشاشة عودها.. إحساس أدهشها بعض الشيء، لأنها لم تشعر يوماً بالارتباك من وجودها في حضور رجل، وعلى مقربة منه.. وهذا الرجل هو رب عملها الذي ألفت وجوده قربها.

ـ لم أكن أعلم بأنك صغيرة الحجم إلى هذا الحد.

رفعت ليز رأسها بفظاظة وكأن انتقاده لها أصابها في الصميم، ونظرت إليه والشرر يتطاير من عينيها الخضراوين وقالت: «أكره أن أكون صغيرة».

قطب حاجبيه ساخراً: «تصحيح... رقيقة العود».

ـ مذهل... أشعر وكأنني قابلة للكسر.

ـ المرأة الحديدية؟

كانت عيناه متلألئتين.. فأخذت ليز نفساً عميقاً وابتسمت له ساخرة وقالت:

ـ آسفة.. مسست وتراً حساساً... خلافاً لك، كنت أقف خلف الباب حين أنعم الله عليك بالطول.

ابتسم كول ابتسامة عريضة:

ـ ولكنك لم تقفي خلف الباب، حين أنعم الله عليك بسرعة البديهة، التي ستحتاجين حتماً إليها، لتتعاون والدتي معك خلال الرحلة.

وما أن أنهى كلامه حتى تقدم نحو الباب الأمامي للقصر الزهري،

فلحقت به ليز وهي تتمنى في سرها لو أن الله أنعم عليها بطول القامة على غرار شقيقاتها لتشعر بأنهما متلائمان، من الناحية البدنية.. فاستعماله لعبارة «صغيرة الحجم» أوحى إليها بانخفاض أسهمها في سوق الفتنة..

عند وصولهما إلى الشرفة في الدور الأرضي، فُتح الباب الأمامي وصرخت نانسي بيرسون بنبرة تدل على الارتياح المفعم بالأسى: «أخيراً!».

نظر كول إلى ساعته: «لم تتجاوز الحادية عشرة يا أمي».

ـ أعلم ذلك يا عزيزي.. ولكنني أعد الدقائق منذ وصول تارا.. لمَ لم تعلمني...

ـ تارا!

وتصلبت قسمات وجهه في الحال..

ـ ما الذي تفعله هنا بحق الله؟

بدا الارتباك واضحاً على وجه نانسي: «قالت..».

ـ لمَ سمحت لها بالدخول؟

أجابته ويداها ترتعشان من شدة الارتباك: «ولكنها زوجتك!».

ـ إنها مسألة وقتية.. أسبوع واحد وتنتهي المسألة.

تأففت والدته بنفاد صبر:

ـ لكنها حاولت أن تفهمني أنكما اتفقتما على أن تلتقيا هنا.

ـ هذا غير صحيح يا أمي.. وقعت ضحية ألاعيبها!

أسرعت ترد عليه بنبرة حاسمة:

ـ يسرني أنك أدركت أخيراً براعة تارا في ذلك يا كول.

بدا واضحاً أن نانسي لا تكنّ المودة للمرأة التي تزوجها ابنها.

ـ حضرت الشاي في القاعة الزجاجية.. إنها تنتظرك هناك.. وتتصرف بحرية مطلقة وكأنها في منزلها ولها كل الحق في ذلك.



علق كول ساخراً: «يا له من مشهد فريد من نوعه!».

ـ حسناً.. لا أظن أن مهمة إبعاد هذه المرأة من حياتك تقع على عاتقي.. عليك أن تتولى الأمر بنفسك إن كنت مصمماً عليه.

ـ هل جعلتك تارا تشكين في ذلك؟

تأففت الوالدة ثانية:

ـ من أين لي أن أدرك حقيقة مشاعرك يا كول؟ فأنت لا تتحدث عن الأمر أبداً... جلّ ما أعرفه هو أنك تعلقت بهذه المرأة..

ـ محال!

ـ من الأفضل أن تذهب وتقنعها بذلك لأنها تخال نفسها قادرة على أن تلوح لك بإصبعها لكي..

ـ إنه مجرد ادّعاء يا أمي!

ورمى ليز بنظرة حادة وأضاف:

ـ أظنك سمعت بأن ضيفة غير متوقعة ستشاركنا شاي الصباح.

أسرعت نانسي تقول وهي تنظر إليها بعينين قلقتين:

ـ سأصطحب ليز معي إلى الطابق العلوي... آسفة يا عزيزي، لم يكن ذلك في الحسبان..

قاطعها كول قائلاً:

ـ لهذا السبب بالذات، لا أجد من داعٍ لأن تلوذي بالفرار مع ليز.. ولن أرضى بأن تتوارى عن الأنظار وكأنها شخص لا شأن له، إكراماً لعيني زوجتي السابقة التي قررت أن تفاجئنا بزيارتها.

بدت نانسي مصعوقة: «لم أقصد...».

أسرعت ليز تناشدها قائلة:

ـ إنها مسألة لياقات يا كول... لا مانع عندي من أن أدعكما لوحدكما.

ـ فتحقق تارا مرادها؟.. لن نبدل خططنا إكراماً لها..

وتحولت كبرياؤه الطاغية إلى أوامر باردة:

ـ أمي.. أريدك أن تعودي إلى الغرفة الزجاجية.. ليز، أريدك أن ترافقيها وكأن شيئاً لم يكن، وسنشرب معاً شاي الصباح الذي أعد على شرفنا.

وأومأ لها لتتقدم وعلى وجهه تصميم لا يتزعزع.. نظرت ليز حائرة إلى والدته التي كان من المفترض بها أن تزرع اليوم البهجة في قلبها.. فلاحظت أن القلق زال عن وجهها.. في الواقع، بدت في عينيها إمارات الاعتداد بالنفس وهي تلوح لليز لتدخل إلى المنزل:

ـ أرجو أن تعذريني لأنني لم أرحب بك كما يجب.

وابتسمت لها ابتسامة اعتذار وأضافت: «شوشت هذه المشكلة أفكاري».

ـ إنني أقدر موقفك تماماً.

قررت أن تنفذ أوامر كول بحذافيرها، وتتصرف وكأن شيئاً لم يكن، فابتسمت وقالت لها:

ـ أحببت منزلك كثيراً يا نانسي...

ـ لطف منك أن تقولي ذلك.

وأشرق وجهها فرحاً وهي تلف ذراعها حول ليز وتقودها إلى بهو فسيح رصفت أرضه ببلاط فسيفسائي مزخرف بالصدف والمرجان:

ـ اخترت كل شيء بنفسي، حتى بلاط الأرض.

ـ إنه جميل!

قالت ليز ذلك بإعجاب صادق، محاولة أن تحول انتباهها عن كول الذي أقفل الباب خلفهم ليزجهم في موقف محفوف بالتوتر والصدامات، بعد أن قررت تارا سامرفيل المجيء من دون سابق إنذار، وفي نيتها الحصول على شيء



من كول.. شيء لم يكن هذا الأخير مستعداً لأن يمنحها إياه.

واصلت نانسي حديثها عن المنزل وهي تقودها في أرجائه، مستمتعة بإخبارها قصصاً عن مقتنياته المختلفة، وكأنها لا تريد الإسراع في العودة إلى ضيفتها غير المتوقعة... وخطر لليز بأن نانسي تجد نوعاً من اللذة في جعل تارا تنتظر...

لم يحث كول والدته على الاستعجال، إلا أن ليز أحست بنفاد صبره من الموقف الذي فرض عليهم جميعاً من قبل المرأة التي تزوجها..

لا بد أنه أحبها في يوم من الأيام.. هل انطفأت شعلة الحب في قلبيهما أم ساهم حزنهما على موت طفلهما في إبعادهما عن بعضهما؟

لم يخطر على بالها قط أن تتدخل في حياة رب عملها الشخصية، لأن الأمر لا يعنيها... ولكن الحديث الذي دار بين الأم وابنها عند الباب أيقظ فضولها وأصبحت متلهفة لرؤية رد فعل كول وتارا سامرفيل عند لقائهما، ولمعرفة أسباب انفصالهما، فضلاً عن حقيقة مشاعر كول للتأكد من أنه تحرر من تأثير زوجته عليه حقاً..

هل كانت كبرياؤه الغاضبة تخفي نوعاً من الاستسلام أمام قدرة زوجته على التلاعب بمشاعره؟

هل كان يستخدم ليز ووالدته كدرع يحول دون انهيار دفاعاته كلها، إن تواجد معها على انفراد؟

مع اقترابهم من الغرفة الزجاجية أخذ صوت نانسي التي لم تتوقف عن الثرثرة يرتجف، فيما أدى التوتر المنبعث من كول إلى تعقيد الأمور.. فحبست ليز أنفاسها وقد أنبأها حدسها بأن شيئاً سيئاً.. سيئاً جداً سيحدث..

## ٧ ـ كلمات تشعل ناراً

لمحت ليز على الفور الخلفية الرائعة التي شكلتها نباتات غريبة متنوعة، زرعت فيها زهور بخور مريم المزهرة.. إنها خلفية جميلة لمجموعة من المقاعد الخشبية التي فرشت عليها وسادات زاهية الألوان.

وما إن وطأت قدماها أرض الغرفة الزجاجية حتى لفتت انتباهها المرأة الجالسة عند طرف الطاولة المستطيلة.

ـ عزيزي كول..

كانت تارا ترتدي سترة جلدية سوداء ضيقة، تبرز معالم جسدها، وتعد أزرارها المفتوحة بمعظمها برؤية مفاتن مثيرة، إن فتح زر آخر بعد... ويتدلى حول خصرها حزام أسود مرقط بالأبيض، فيما عقدت عند أسفل عنقها الطويل وشاحاً صغيراً أبيض وأسود..

أما شعرها الغزير الأشقر فتركته يتدلى بشكل مبعثر على كتفيها بينما كانت عيناها الكهرمانيتان المكحلتان بشكل متقن، تومضان بتحدٍ استفزازي، وهما مسلطتان على الرجل الذي اتخذته هدفاً لهما..

لم تتكبد عناء الالتفات نحو ليز أو نانسي ييرسون لإلقاء التحية عليهما، رافضة أن تبعد نظرها عن كول وكأنها توجه له دعوة صريحة.

ـ يسرني أنك نهضت من مكانك يا تارا.

قال لها كول ذلك بازدراء جلي.

ـ احملي حقيبة يدك، وتابعي سيرك نحو الباب وغادري هذا المنزل.



ـ كم أنت وقح يا عزيزي، لا سيما وأنني لبيت دعوة والدتك للبقاء.

ورسمت على ثغرها ابتسامة اشبه بابتسامة الهرة، ثم توقفت قرب أحد المقاعد، وتمسكت بظهره، متخذة موقفاً دفاعياً للحؤول دون طردها.

أجابها كول بقساوة: «كذبت عليها..».

ـ فعلت ذلك كي لا أجرح كبرياءك يا كول.. ولكنني أتيت إلى هنا من أجلك.. فلمَ لا تعترف بأن هذه الكبرياء.

وهزت وركيها وأدلت شفتيها بشكل مثير وأضافت:

ـ هي ضجيج بارد.. بارد جداً..

قال لها مقاطعاً كلامها:

ـ لا تضيعي وقتك سدىً يا تارا.. انصحك بأن تحذي حذوي وتمضي قدماً في حياتك.

ـ ولِمَ لم اسمع همساً حول هذا الموضوع؟

كانت نبرتها ساخرة، وكلها ثقة في قدرتها على التأثير عليه.

ـ لم أعد أختلط بأشخاص من محيطك الاجتماعي.

ـ ولكنك محور أحاديث الناس.. ولا بد أن يتناقلوا أخبارك.. إن كنت تعيش فعلاً مغامرة جديدة.

ـ أفضل الحفاظ على سرية حياتي الخاصة.

تنبهت ليز إلى أنه يحاول التملص من الرد.. فبعد انفصاله عن زوجته، لم تظهر عليه أي إشارات تدل على ارتباطه بامرأة أخرى، على الأقل أمام سكرتيرته الخاصة..

قالت له تارا بنبرة ساخرة: «لا تقل لي إنك تريد التكتم عن الأمر».

ـ لا أظن أن النساء جميعهنّ يرغبنّ مثلك بتسليط الأضواء عليهنّ.

كانت نبرة صوته تدل على احتقاره لها:

ـ وبما أنني لن ألعب دور شريكك بعد اليوم، أنصحك بأن تجدي رجلاً يحب اللهو لتعبثي معه.. لن تجني شيئاً من بقائك هنا.

ضاقت عيناها وبدت إمارات الهزيمة على وجهها.. فالتفتت نحو ليز للمرة الأولى وراحت تقيّمها من رأسها إلى أخمص قدميها وتتمعّن في كل شبر فيها من دون أن تغفل عن ذراع نانسي المحيطة بها..

وإذا بها ومن دون سابق إنذار، تنفث سمومها في وجه والدة كول قائلة:

ـ لم تحبيني يوماً، أليس كذلك يا نانسي؟

أحست ليز بتوتر المرأة العجوز أمام هذا الهجوم المباشر، غير أنها لم تكن تفتقر إلى القدرة على المجابهة، فأجابتها بنبرة هادئة وصارمة في آن معاً:

ـ من الصعب عليَّ أن أحب امرأة أنانية مثلك يا تارا..

رمتها تارا بابتسامة فظة وقالت:

ـ أراهن أنك كنت تبحثين له عن مراهقة ليلعب دور الوصي عليها منذ رحيلي.

وانتقلت عيناها اللتان كانت تومضان بالشر نحو ليز وأضافت: «من هذه؟ وما هذه؟».

أجابها كول بتهذيب مطلق: «جاءت ليز برفقتي.. ولا علاقة لك أبداً بوجودها هنا.. وأظن أن موعد رحيلك قد فات منذ بعض الوقت».

ـ أهذه هي التي اخترتها يا كول؟

ورفعت حاجبيها ساخرة: «بدلاً مني؟».

كان الهدف من المقارنة إذلالها إلا أن كلماتها اللاذعة لم تجرحها في العمق.. صحيح أن ليز كانت واثقة كل الثقة من عدم قدرتها على منافستها على صعيد الشكل الخارجي، لأنها لا تملك المؤهلات الأنثوية التي تتمتع بها تارا، ولكنها تتفوق عليها بطبعها الرائع وشخصيتها الجذابة... إنهما صفتان تفتقر إليهما زوجة كول افتقاراً تاماً...



وحده رد كول على كلامها جرحها في الصميم:

ـ بحق الله! ليز سكرتيرتي الخاصة منذ أكثر من ثلاث سنوات... ولطالما مررت بها في طريقك إلى مكتبي.. مع أنني لا أخالك تكبدت عناء النظر إليها قط..

كانت كلماته القاسية خير دليل على أنها ستبقى سكرتيرته الخاصة، ولن تحتل يوماً مكانة أخرى في حياته... ليت كلماته تلك لم تؤثر فيها!.. ولكنها أثرت فيها أشد التأثير...

صرخت تارا غير مصدقة: «الفتاة ذات البنية الصغيرة!!».

وأرجعت رأسها إلى الخلف لتنفجر بعدها ضاحكة...

تقلصت معدة ليز وأدركت غريزياً أن تارا سامرفيل لن تكتفي بهذا الحد.. فتلك الضحكة الهستيرية تنذر بسوء النية..

ومضت عيناها الكهرمانيتان بخبث وقالت:

ـ من حسن حظك أنه اختارك سكرتيرة خاصة له! فاستغليت الفرصة وحسّنت شكلك ووضعت نفسك تحت تصرفه.. وها أنت اليوم تحاولين أن تكسبي ود والدته، مؤدية أمامها دور الفتاة المثالية التي تجيد كل شيء..

أحسّت بنيران الغضب تستعر في أحشائها وتعزلها عن كل ما يحيط بها، إلا عن زعيق كول وما تأتى عنه من عواقب...

إذ التقطت تارا حقيبة يدها، وعلقت الحمالة في كتفها، ثم راحت تتبختر أمام كول وهي تتهيأ لإلقاء قنبلتها الأخيرة:

ـ لقد تمكنت من النيل منك، وأجادت اللعب على أوتارك الحساسة... ولكنني أراهن أنها لا تضاهيني براعة في السرير.. فكر في الأمر يا عزيزي.. لم يفت الأوان بعد لتغيير رأيك..

وغادرا الغرفة الزجاجية معاً... مشت تارا في المقدمة بعد أن سببت أكبر قدر ممكن من الأضرار، فيما لحق بها كول للتأكد من رحيلها،

والتحدث معها على انفراد قبل انصرافها، بعد أن شد على كتف ليز معبراً بصمت عن تقديره لقدرتها على الاحتمال.

أحست ليز بالغثيان من شدة الإحراج فلم تقوَ على التفوه بكلمة.. والأسوأ من ذلك كله هو أن تارا كانت تردد على مسمعهم خطة ديانا المحكمة لاصطياد رب العمل...

صحيح أن ليز لم تضع هذا الهدف نصب عينيها حين وافقت على المضي في خطة شقيقاتها، لتغيير شكلها الخارجي، إلا أن اتهامات تارا أثارت إحساسها بالخجل من المشاعر التي خالجتها طوال الأسبوع الماضي، ورغبتها المتزايدة في لفت انتباه كول إليها..

وكم كان ارتياحها عظيماً حين انتقلت نانسي في الحال إلى لعب دور المضيفة، فقادت ليز إلى الطاولة وخرقت الصمت المريك الذي خيم عليهما بسيل من الكلمات:

ـ اعتادت تارا أن تثير المتاعب كلما عجزت عن تحقيق مبتغاها.. لا أريدك أن تتأثري بكلامها، فهي إنسانة حقود.. اجلسي واسترخي قليلاً، فيما أعد إبريقاً من الشاي الساخن.. يمكنك تناول فطيرة محشوة بمربى الفريز والقشدة.. إنه طبق كول المفضل.. وأنا أعدّ له إلى جانبه شاي ديفونشيز المميز..

جلست ليز على المقعد ونظراتها الشاردة تجول على مجموعة متنوعة من الفطائر الدانمركية الصغيرة، المحشوة بالفاكهة.. مشمش وتفاح ودراق.. فضلاً عن الكعك الموضوع إلى جانب أطباق المربى والقشدة.. إلا أنها لم تشعر بشهية إلى الطعام وخشيت أن تختنق إن وضعت لقمة واحدة في فمها..

وشغلت نانسي نفسها بتحضير الشاي، من دون أن يبدو عليها الانزعاج من فكرة تورط ابنها في علاقة مع ليز...

لم تتحمل ليز أن تخالها نانسي عشيقة ابنها، لأن ذلك يجعلها في نظرها



إنسانة خسيسة ذي وجهين، تخفي علاقتها الحميمة بابنها وتدعي الحشمة في تصرفاتها.. فأسرعت تقول لها، وهي مصممة على توضيح كل غموض قد يلف علاقتهما:

ـ لست على علاقة بكول..

رفعت نانسي عينيها نحوها وقد فاجأها تصريحها القاطع.. كانت عيناها الزرقاوان صريحتين ومفعمتين بثقة مطلقة وهي تجيبها قائلة:

ـ لا أشك في ذلك أبداً يا عزيزتي... سألت كول عنك، قبل أن التقي بك.. وأكدت أجوبته لي...

أخذت نفساً عميقاً واستطردت تقول: «أنه لا يرى فيك إلا كفاءتك».

أحست ليز بالحمرة تحرق خديها.. فعلى الرغم من أنها كانت تعرف حق المعرفة بأن كول لم ينظر إليها كامرأة قط، فقد باتت هذه الحقيقة قاطعة.. صحيح أن نظرته إليها اختلفت الأسبوع الماضي، ولكن ذلك لا يعني أن أمنية ديانا قد تتحقق..

لم تشأ أيضاً أن تترك تأويل تارا للتغير الجذري في شكلها الخارجي مفحماً، فقالت لها:

ـ ولا أسعى لإيقاعه في شباكي أيضاً..

تنهدت نانسي من جديد، ورمتها بابتسامة حزينة:

ـ ليتك تفعلين يا عزيزتي... لكنني أعلم جيداً أن ذلك يتنافى مع طبيعتك.

تناست ليز اضطرابها لبعض الوقت: «أتتمنين لو أنني..؟».

ـ لا يجدر بي أن أقول ذلك..

وكشفت تكشيرة نانسي عن الخوف المسيطر عليها أيضاً:

ـ لكنني أظنه لا يزال يحبها.. فكلامها صحيح.. ولا ينبغي إخفاء شيء عنك أيضاً.. لم يعرف كول امرأة سواها منذ انفصالهما.. وكأنه اختار أن

ينغلق على نفسه وينعزل عن الناس.

هزت ليز رأسها بالموافقة... فهل من أحد يعرف الرجل الحديدي المحظر الاقتراب منه، أكثر منها؟

تابعت نانسي ثرثرتها، محاولة أن تنفس عن قلقها:

- إن عقدت تارا العزم على أن ترمي له الشباك من جديد...

وهزت رأسها وأضافت:

- آمل أن يتحلى كول بنفاد البصيرة لينجز معاملات الطلاق ويتخلص منها.

لم تنبس ليز ببنت شفة وقد وجدت أنه من غير اللائق أن تعلّق على حياة كول الخاصة، خاصة وإن الأمر لا يعنيها بتاتاً...

لكن ما هي حقيقة مشاعر كول تجاه زوجته؟ لم تكن تملك أدنى فكرة. فالكلام الذي تفوهت به نانسي أكد لها أن زواجه ترك فيه ندوباً عميقة...

هل حرّكت المواجهة الجسدية مع زوجته الجروح الدفينة؟ فهو لم يرجع بعد إلى المنزل... لعلهما يتحدثان معاً، أو يتجادلان كما يتجادل الزوجان عادة، حين لا يرغبان بالانفصال حقاً..

فكل جدال مهما بلغت قساوته.. يعد بمثابة خطوة نحو التفاهم.. وكول الآن بمفرده بعيداً عن الأعين الفضولية.. ماذا لو دست تارا ذراعيها حوله وألحت عليه، بطرقها الخاصة، ليسترجعا علاقتهما الحميمة؟

أحست ليز فجأة بالاحباط.. فمنذ أسبوع واحد فقط استطاعت أن تلفت انتباهه إليها.. بعد أن أدرك أن لقب «فتاة البنية الصغيرة» لم يعد مناسباً لها.. فآثار ذلك انزعاجه أو ربما فضوله، لأنه لم يكف عن طرح الأسئلة حول براندن.

أما الانجذاب المفاجىء الذي أوهمتها به مخيلتها فهو ثمرة توقها الشديد لذلك.. يا لغبائها!



كيف يعقل أن يفتتن رجل مثله.. وسيم وثري.. بفتاة مثلها، في حين أن أمثال تارا سامرفيل يهرعن للارتماء تحت قدميه، بإشارة واحدة من إصبعه؟

لا بد أنها فقدت صوابها، لتنقاد وراء أوهام ديانا.. أو لعلها كانت تحتاج إلى أن تشعر بنفسها مرغوبة بعد أن هجرها براندن.

صرخت نانسي صرخة ارتياح: «ها هو كول مع الحرفي!».

أيقظت هذه الملاحظة ليز من أحلامها الكئيبة، فاستدارت نحو حوض السباحة، حيث كان كول واقفاً مع رجل آخر، يدلّه على السطح المرصوف، ويقوده نحوه.

- أظنه وصل بينما كان كول يرافق تارا إلى الخارج.. ودخلا معاً من الباب الخلفي..

تابعت نانسي ثرثرتها، والبهجة بادية على وجهها وقد أدركت أن ولدها لم يتأخر في العودة لأنه وقع ضحية إغواء زوجته السابقة...

- في مطلق الأحوال كان الموعد في الحادية عشرة... يا لها من صدفة سعيدة!

صحيح أن ذلك لا يؤكد بقاء كول على موقفه الرافض للعودة إليها، لكنه يدل على أن الفرصة لم تسنح لزوجته لإقناعه.. ووجدت ليز نفسها تتمنى ألا تكون تارا قد نجحت في تحقيق أي من مآربها، وليس بسبب وصول الحرفي، ومقاطعته لهما فحسب.. لم تحب نانسي تلك المرأة يوماً ولم تجد ليز سبباً واحداً يجعلها تحبها.. ولكن الرغبة الجنسية غالباً ما تعمي الرجل عن الأمور الأخرى كلها..

حملت نانسي إبريق الشاي الخزفي ووضعته أمامها على الطاولة ثم قالت لها، وعلى ثغرها ابتسامة رضى:

- يمكننا أن نشرب الآن شاي الصباح ونستمتع به.

جلست نانسي على الكرسي المقابل لليز وراحت تتأملها بفضول:

ـ اعذريني على تطفلي يا عزيزتي... ولكن هل غيرت شكلك الخارجي هذا الأسبوع؟

ـ خلال الإجازة!

لم تتزعج ليز من سؤالها، وفضلت الإجابة عليه صراحةً، لأن كول سيفعل عاجلاً أم آجلاً.

ـ اتفقت شقيقاتي عليّ، ونعتنني بالمرأة الرتيبة، ثم استعملنَ عصاً سحرية وحولنني إلى سندريللا!

ـ مهما كان ما فعلنه، أرى أنك جميلة جداً.

ـ شكراً.

صبت نانسي الشاي:

ـ عدت نهار الاثنين إلى المكتب، في حلة جديدة.

قالت لها ذلك وهي تبتسم لها مشجعة.

ـ أجل.

ـ هل لاحظ كول الفرق؟

ابتسمت ليز استهزاءً: «لم يرق له الأمر».

ـ ألم يعجبه شكلك الخارجي؟

ـ أظنه لم يجد فكرة أن أبدو مختلفة في عينيه... ولكنه سيعتاد حتماً.

ـ سكر أو حليب؟

هزت ليز رأسها بالنفي: «لا شكراً».

ـ خذي كعكة يا عزيزتي.

أخذت ليز كعكة بدافع المجاملة على الرغم من أن توترها تلاشى، واستعادت هدوئها وباتت قادرة على ابتلاع الطعام.



أحست بارتياح شديد لأن نانسي تفهمت موقفها... إذ كانت تخشى أن تسافرا معاً وهي تظن بها السوء.

ـ ها قد جاء كول ليشرب الشاي.

أعلنت نانسي ذلك بفرح كبير فالتفتت ليز إلى الخلف لترى رب عملها يتوجه إلى الغرفة الزجاجية، تاركاً الحرفي يقيس السطح المرصوف ويحسب كلفة العمل.

علت الحمرة خديها، فحاولت أن تركز اهتمامها على الكعكة.. وخطر لها أن تضع الطعام في فمها وتتظاهر بالأكل، فلا يوجه الكلام إلا لوالدته.. صحيح أنه تكتيك ينم عن الجبن، إلا أنها لم تكن مستعدة لتحمل نظراته الثاقبة، وأسئلته الكثيرة.. لكن الأمر لا يعنيها مطلقاً.. فما سبب هذه المشاعر العنيفة؟ لا تعرف أبداً.. ولا يهمها أن تعرف.. جلّ ما كانت تتمناه ألا يقحمها في موضوع تارا..

سمعت الباب الزجاجي ينفتح خلفها فأحست بنوع من الذبذبات الكهربائية تتردد في الأجواء... وراحت يداها ترتعشان ولم تعد قادرة على رفع الكعكة إلى فمها.

حملقت في طبقها غاضبة، كارهة قوة تأثيره عليها.. هذا ليس عدلاً.. فهي لم تفعل شيئاً.

ـ ليز!

صرّت على أسنانها.. لا يحق له أن يجرحها أو يرغمها على الانصياع لأوامره وهما خارج المكتب.. إنه يوم إجازتها، وأنت تقضيه برفقة والدته بناء على طلبها، وليس بصفتها سكرتيرته الخاصة.

سألها بنبرة مشوبة بالقلق: «هل أنت بخير؟».

رفعت رأسها لتواجهه باعتداد بالنفس.. كانت تعابير وجهه تنم عن عزم ثابت وعيناه المسلطتان عليها تبحثان عن آثار ما حصل..



www.elromancia.com

ارتجف ذقنها بتحدٍ وقالت له: «لا أجد سبباً لا يجعلني أكون بخير؟».

هز رأسه ببطء:

- لم أتوقع أن توجه تارا ضربة غير مباشرة.. ويؤسفني أنك كنت الهدف يا ليز.

- إن لم تحقق الضربة ضرراً، لا تعد ناجحة.. وأنا أكدت لوالدتك أن ادعاءاتها غير صحيحة.

نظر إلى والدته بحدة: «لا أظنك صدقت كلام تلك الساقطة يا أمي!».

- كلا يا حبيبي.. وقلت ذلك لليز.

- صحيح! لم يتعرض أحد للأذى!

قال ذلك والارتياح بادٍ على وجهه: «عليّ أن أعود لأتأكد من أن ذلك الرجل يعرف جيداً ما يفعله!».

سألته نانسي: «ماذا عن الشاي؟».

- سأشربه لاحقاً!

وخرج من الغرفة مقفلاً الباب خلفه، وقد بدا جلياً أن المشكلة التي افتعلتها تارا سامرفيل قد طويت.. ولن تحاول ليز أن تفتح الموضوع ثانية أبداً.

تنبهت إلى أن يديها مشدودتان في حجرها، فأسرعت ترخيهما لتأكل الكعكة المحشوة بمربى الفريز والقشدة... عليها أن تأكلها لتثبت للجميع أنها بخير.

- ألا تجدين ذلك لطيفاً؟

وابتسمت لها نانسي بابتهاج، فيما كانت ترفع الكعكة من الطبق..

فنظرت إلى والدة كول بانشداه، وهي لا تعي ما الذي قصدته بكلامها.

- إنه يكترث لأمرك يا عزيزتي.

وابتسمت لها ابتسامة عطوف للتأكيد على كلامها..



كانت ليز على شفير الانهيار فلم تشأ أن تجادلها.. وتمنت أن يطرد كول من رأسه الفكرة التي زرعتها تارا فيه، عن سكرتيرته الخاصة، التي تسعى جاهدة للوصول إلى سريره بدلاً من إنجاز الأعمال الموكلة إليها.

www.elromancia.com

## ٨ ـ مقاومة يائسة

ثارت ثائرة كول إثر الصفعة الأخيرة التي وجهتها له تارا قبل رحيلها... صفعة أيقظت الذكريات الأليمة كلها.. وانتهى الأمر إلى الموافقة على السعر الذي طلبه الحرفي، ليبلط المساحة المحيطة بحوض السباحة، من دون أن يجادله أو يحاول التأكد من أن السعر ليس مرتفعاً...

المهم عنده أن ينجز العمل حرفي مشهور، مهما كانت الكلفة... فأموال العالم كلها لن تعيد إليه طفله... ولكنها تملك تأثيراً كافياً لتعيد زوجته إلى أحضانه... تلك الزوجة التي لم تتوانَ عن التبجح برغبتها في أن تصبح أماً من جديد.

أم... يا لها من دعابة سخيفة!

أتراها عديمة الإحساس إلى هذا الحد، لتظن أن كول سيعيد النظر في اقتراحها؟..

رباه! كان كول يأبى أن تتواجد في المنزل عينه مع طفل من لحمه ودمه... فكيف تراه يوافق على أن تكون أمه الطبيعية وتتمتع بحق التأثير على تربيته بطرق سلبية؟

لم يكن دايفيد بالنسبة إليها إلا مجرد طفل تتباهى به أمام أصدقائها.. فتلبسه أفخر الملابس حين يحلو لها، وتهمله كلياً حين يحتاج إليها...

لم يخلف موته فراغاً في حياتها.. لا بل اغتاظت أشد الغيظ من الفراغ الذي خلفه في حياة كول.. فضاقت ذرعاً من حزنه عليه، وراحت تتذمر من معاملته الجافة لها باحثة عن رفقة أكثر مرحاً، بعد أن بات مملاً في نظرها..



هل خيل إليها أنه قد يتناسى ذلك كله لأن علاقتهما الجسدية كانت جيدة في بداية حياتهما معاً.

لم تتحرك أحاسيسه البتة، حين حاولت إغواءه هذا الصباح. إلا أن نيران الغضب تأججت في داخله، حين صورت ليز بأبشع الصور ونعتتها بالمغوية الماكرة، ساخرة من الجهود التي بذلتها لتبدو أكثر فتنة... صحيح أن كلامها صوّر حقيقة ما حصل، ولكن كول يعرف تمام المعرفة بأن ليز فعلت ذلك لتنتشل نفسها من الكآبة التي أغرقها فيها براندن يوم هجرها... ولا علاقة له بالأمر مطلقاً.

وحدها كلمات تارا اللاذعة قد تحث ليز على وضع قناع «الفأرة البنية الصغيرة» ثانية.. فهاج غضبه من جديد، وهو يجتاز الفناء عائداً إلى الغرفة الزجاجية، بعد أن ودع الحرفي.

أصرت ليز على أنها بخير ولكنها أبت أن ترفع نظرها إليه، حين وجه إليها الكلام.. فأجابته والدمعة في عينيها، والحمرة تعلو خديها لتنكر إصابتها بأي أذى.. إلا أن كول شعر بأن ثقتها بنفسها التي اكتسبتها حديثاً، بدأت تتلاشى..

عليه أن يصلح الأمر.. ولكن ما السبيل إلى ذلك؟

لم يجد والدته وليز في الغرفة الزجاجية فارتأى أن يستغل الفرصة ليفكر في ترياق يشفيها من سموم تارا.

من المؤكد أن والدته ستعاملها بلطف، وتشغلها بمسألة توضيب حقائب السفر.. ولعلها تبالغ في مجاملتها محاولة أن تزيل عن كاهلها التوتر الذي زرعته ضيفتها غير المتوقعة.

كم كان أحمق حين تزوج من تلك المرأة! خمسة أيام فقط ويصبح طلاقهما نهائياً.. ليت نهار الخميس لا يتأخر في الوصول!

أعد كول لنفسه إبريقاً من الشاي الساخن، والتهم بعض الكعك، ثم

التقط صحيفة الصباح، علّ أخبارها تبعد تارا عن ذهنه.. فهي لا تستحق أن تحتل مساحة فيه، وكول يأبى أن يمنحها هذا الامتياز..

قرأ كول الأخبارة الهامة، وانتقل بعدها إلى حل الكلمات المتقاطعة.. وإذا بوالدته تدخل إلى الغرفة الزجاجية، وهي تجر طاولة صغيرة وضعت عليها طعام الغداء..

كانت ليز تلحق بها وعيناها تجولان في المكان متفاديتين النظر إليه..

ـ وضبنا كل ما يلزمني للرحلة.

أعلنت والدته بفرح.

ـ هلا أبعدت الجريدة عن الطاولة يا كول؟

سألها وهو يتمنى في سره أن تساعد هذه الأحاديث الروتينية ليز على الاسترخاء في وجوده:

ـ ماذا لدينا على الغداء؟

ـ لازانيا وسلطة وخبز محمص، وللتحلية إجاص بالكاراميل... ولكن علينا أن نسرع قليلاً لأن ليز تريد الذهاب للتسوق، والساعة الآن الواحدة.

سألها: «ما الذي تريد شراءه؟ هل ألحيت عليها يا أمي لتشتري ملابس جديدة تتلاءم مع ذوقك؟».

ـ بعض الأشياء البسيطة فحسب.. لم تكن ليز على علم بأمر الحفلة في فندق ستراند في رانغون.. فالمدعوات يرتدين عادة الأبيض..

ـ لا أعتقد بأن الأمر إلزامي..

ـ المسألة تتعلق بروح الاحتفال يا عزيزي.

قطب كول جبينه متسائلاً في سره عن حجم الخسائر المادية التي ستتكبدها ليز بسبب والدته...

ـ لا نريد أن نتسبب بإفلاس ليز.

رمته والدته بابتسامة بريئة شفافة توحي بالمتاعب:



ـ يمكنك أن تصطحبها للتسوق، لتبدو في أبهى حلة حيثما ذهبنا.

ـ كلا.

أرعب هذا الاقتراح ليز وتوقفت عن توضيب الطاولة لتدلي بتصريح حازم حول هذا الموضوع:

ـ قدمت لي هذه الرحلة مجاناً يا كول.

قالت له ذلك بحدة، لتذكره بما فعله من أجلها.

ـ وأنت يا ناسي.. قلت لي إنني سأشتري أشياء أستفيد منها لاحقاً.

باتت المواضيع واضحة كل الوضوح.. وومضت عيناها تتحدى كل من يحاول تجاوزها..

أحس كول بثقل هذه الحدود طوال فترة الغداء..

يمكنها أن تجامل والدته، من مختلف النواحي، ولكنها تأبى أن تتخطى علاقتها بالرجل الذي استخدمها علاقة العمل..

تفادت النظر إليه، وتجاهلت وجوده كلياً، من دون أن تعامله بفظاظة.. فبدا جلياً أن كلام تارا، ترك تأثيراً بالغاً فيها.

وفي طريق العودة إلى المنزل تقوقعت في مقعدها محاولة أن تبدو صغيرة قدر الإمكان، ويداها مشبوكتان بعصبية في حجرها... لم تجد الرحلة في سيارة الماسيراتي ممتعة هذه المرة..

وخيل إليه بأنها تصلي في سرها لتسرع هذه السيارة أكثر فأكثر وتنتهي رحلتهما معاً وتتخلص منه..

هاج غضبه من جديد وازداد حقده على تارا وتأثيرها المخيف عليها.. فاختلاف شكل ليز عن شكل تارا لا يعني بأنها ليست جذابة على طريقتها.. كان كول يجد تسريحتها الجديدة أنيقة، وتبرز معالم وجهها الذي ينبض بحيوية فائقة، ويلفت الأنظار إليه.. لاسيما عينيها... عينان خضراوان تومضان بإرادة قوية..

أما قدها الصغير فيضج أنوثة في هذه الملابس التي كانت ترتديها.. صحيح أن أنوثتها ليست صارخة ولكنها بارزة حتماً بما أنها أثرت فيه على مدى أسبوع بكامله..

أراد كول أن يسمعها هذا الكلام، لكنه لم يكن متأكداً من رغبتها بالاستماع إليه يغدق عليها المديح خاصة بعد اتهام تارا الصريح لها، بمحاولتها إغوائه...

قالت له فجأة: «أرجو منك أن تنزلني قرب مركز موزمان التجاري..».

نظر كول إلى ساعته.. قاربت الساعة الثالثة.. ومعظم المحلات التجارية تقفل أبوابها عند الخامسة نهار السبت إلا في المناطق السياحية.. ومركز موزمان التجاري يقع في حي راقٍ...

ـ سأنتظرك في السيارة ريثما تنهي التسوق، ثم أعيدك إلى المنزل...

ـ لا... أرجوك..!

وسمع في صوتها نبرة ذعر: «لا أريد أن أؤخرك».

ـ ستتأخرين كثيراً في العودة إلى المنزل، إن انتظرت وسائل النقل العامة.. علاوة على ذلك أظنك قررت التسوق نزولاً عند طلب والدتي فحسب... سأجلس في أحد المقاهي أشرب القهوة ريثما تنتهين.

ـ لا أريدك أن تفعل يا كول.

قالت له ذلك والتوتر بادٍ عليها...

ـ سأجد نفسي مرغمة على الاستعجال قدر الإمكان.

ـ خذي وقتك كله...

وظهر الاسترخاء على قسمات وجهه...

ـ ليس لدي ما أعود من أجله إلى المنزل.

لم ترق له محاولاتها الحثيثة للفرار منه.. وتملكته رغبة شديدة في تحطيم



الحواجز التي وضعتها بينهما فأضاف قائلاً: «في الواقع، أفضل أن أرافقك لأعطيك رأيي في ما ستشترينه».

هدّ كلامه دفاعاتها كلها، فالتفتت نحوه بعصبية، ولكن نظاراتها الشمسية حجبت عينيها عنه فلم يتمكن من قراءة التعبير الذي بدا فيهما..

ـ لن أسمح لك بأن تشتري لي شيئاً.

قالت له ذلك باعتداد كبير بالنفس: «لست مسؤولاً عن...».

ـ نزعة والدتي للتأنق؟

ابتسم لها هازئاً، وقد راق له أن تنفس عن غضبها أمامه:

ـ أوافقك الرأي.. ولكنني أحملك مسؤولية التساهل معها.. ولا أظنك تحتاجين إلى رفقتي.. فالملابس التي كنت ترتدينها تنم عن ذوق رفيع..

لا بد أن تعزز كلماته هذه ثقتها بنفسها.. فخطر له أن يمضي قدماً في خطته وقد سيطرت عليه نشوة الانتصار: «تحب المرأة أن تسمع رأي الرجل في ملابسها.. وبما أنني متوفر حالياً، لمَ لا؟ فذلك أكثر إثارة من الجلوس لوحدي في أحد المقاهي».

ـ ولكنني سكرتيرتك الخاصة، ولست..

حبيبتك؟ عشيقتك؟ زوجتك؟

لم تكن تقوى على التفوه بهذه الفرضيات الاستفزازية.. فرأى كول أن يعيد علاقتهما إلى الإطار الذي يريحها ويخفف بالتالي من اضطرابها:

ـ بصفتي رب عملك الذي زجك في هذا المأزق، من واجبي أن أمنعك من إنفاق الكثير من المال لإرضاء والدتي.

صرخت بنفاد صبر: «لست مغفلة.. قلت إنني سأشتري ملابس أستفيد منها لاحقاً».

ـ لا يمكنك إذن الاعتراض على حرصي على التأكد من ذلك... علاوة على ذلك، يمكنك الاعتماد علي لأحمل لك الأكياس.

هزت رأسها بيأس، وغرقت في الصمت المطبق من جديد...

أحس كول بنيران المقاومة تهيج في داخلها إلا أنه كان مصمماً على المضي في ذلك ولن يردعه رادع.. لن يدع تارا تهزم ليز هارت أبداً.. وسيجعلها تشعر بالرضى عن نفسها بطريقة أو بأخرى.. فأداؤها في العمل مميز.. وستصبح حتماً أماً رائعة..

ابتسم كول ابتسامة عريضة.. آن الوقت ليطرد تارا من رأسه، إلى غير عودة... صحيح أنها خلفت وراءها ندوباً لا تحصى... ولكن ذلك لن يمنعه من متابعة حياته...

ها هو الآن يسعى جهده للقضاء على تأثير هجومها على ليز.. إنها الخطوة الأولى في الاتجاه الصحيح..

## ٩ ـ تسير مع التيار

كان قلب ليز يتخبط بين ضلوعها... لماذا.. لماذا.. لماذا هذا العناد كله والإصرار على مرافقتها إلى التسوق، محبطاً جهودها الحثيثة كلها للتخلص من ارتباكها الشديد أمامه؟ ألا يعي أن تدخله في اختيارها الملابس، ومساعدته لها في حمل الأكياس، قد تجعل علاقتهما شخصية، وتوحي للآخرين بأنهما زوجان؟

أخذت نفساً عميقاً لتهدىء قليلاً من روعها.. كان ذهنها في حالة من الاهتياج الشديد، يسترجع كل كلمة تفوه بها باحثاً عن المفاتيح لحل لغز دوافعه..

أحست بشيء من الارتياح بعد أن تبين لها أنه لم يخطر على باله بأنها كانت تتلاعب به طوال الأسبوع الماضي..

قال لها إن ليس لديه ما يعود من أجله إلى المنزل، ويفضل مرافقتها للتسوق بدلاً من احتساء القهوة بمفرده.. ولكن ألا يسأم الرجال عادة من التسوق؟.. لطالما كان براندن يتذمر من الوقت الذي تضيعه في التسوق، مكتفياً بالقول «هذا يفي بالغرض»، من دون أن يعطي رأياً دقيقاً في الأشياء التي تشتريها...

لعل زواجه من عارضة أزياء مشهورة علمه بعض الحيل الخاصة بالتسوق... غير أن التفكير في تارا زاد من شعور ليز بالخجل من عرض الملابس أمامه.. فمن الصعب جداً أن تنافسها.. وقلما يهمها أن تفعل... جلّ ما أرادته هو أن يدعها وشأنها لتلملم جراحها بمفردها..



www.elromancia.com

ولكن كول أوقف السيارة، وضغط على الزر ليعيد الغطاء إلى مكانه، وقد بدا مستعداً كل الاستعداد لترك سيارة الماسيراتي في الشارع ومرافقتها إلى السوق.

كانت ليز تعلم جيداً أنه صعب المراس، فإن عقد كول بيرسون العزم على القيام بشيء ما، تعجز قوى العالم كلها عن ردعه عن تحقيق مراده.

فما هو مراده اليوم؟ أيريد أن يشغل وقت فراغه بمرافقتها إلى السوق؟

يمكنها أن تقلّص حجم مشترياتها لتبلغ الحد المعقول، في نظره..

لعل هذا الحد المعقول هو مفتاح اللغز.. قال لها إنه يريد التأكد من عدم إنفاقها المال يميناً وشمالاً، وقد ربط في ذهنه المسألة برمتها بإذعانها لرغبات والدته فحسب..

بدأت نوبة الجنون تهدأ في رأسها، بعد أن أدركت أنها قادرة على التأقلم مع هذا الوضع..

خرج كول من السيارة وتوجه صوبها ليفتح لها الباب، فأسرعت تفك حزام الأمان وتلتقط حقيبة يدها عن الأرض..

فتح لها الباب ومد يده ليساعدها على النزول، ساداً أمامها أبواب الرفض كلها.. وإذ أمسكت ليز بيده، أحست بموجة من الطاقة تغمرها، وتشوّش القسم المكافح في ذهنها...

ولحسن حظها لم يمسك كول بيدها طويلاً، بل أطلق سراحها وهو يشير إلى أعلى الشارع وأسفله سائلاً: «أين تريدين الذهاب؟».

تريثت ليز قليلاً في الرد، لتتمكن من تحديد وجهتها. كانا يقفان في وسط مركز موزمان التجاري، الذي يضم عدداً كبيراً من المحلات الراقية... ولكن ميزانيتها لا تسمح لها بشراء ملابس باهظة الثمن، خاصة بعد أن أنفقت مبلغاً كبيراً لشراء ملابس جديدة منذ فترة ليست بعيدة ولم تشأ أن تطلب المساعدة من ديانا، لتأمين حاجيات الرحلة.. إذ كانت تخشى أن



تمطرها بوابل من الأسئلة حول رب عملها.. فارتأت في نهاية المطاف أن تقصد أحد المتاجر الشعبية، آملة أن تجد فيه ما تحتاج إليه..

ـ سنعبر الشارع ونتوجه بعده يميناً.

أمسك كول بيدها ليجتازا معاً الشارع المكتظ بالسيارات، ويقودها بأمان إلى الرصيف المقابل... كان تصرفه هذا نابعاً من لباقته ولكن كل شبر فيها كان يشعر برجولة رب عملها.. رجولة نابضة زادت من حدة اضطرابها وهما يمشيان جنباً إلى جنب على الرصيف.

ـ هل تقصدين متجراً معيناً؟

سألها ذلك وهو يرمي واجهات المحلات بنظرات خاطفة، خلال مرورهما أمامها.

ـ أجل.. إنه على مقربة من هنا.

وأبت أن تلتفت يميناً أو شمالاً حتى لا تضعف أمام إغراء ما لا تستطيع أن تدفع ثمنه..

كان فصل الشتاء قد انتصف، والأزياء الربيعية بدأت تملأ الواجهات في كل مكان.

ـ مهلاً!

وقبض على ذراعها ليثنيها عن متابعة سيرها، وأشار إلى سروال أخضر وقميص من اللون نفسه معروضين في إحدى الواجهات.

ـ سيبدوان رائعين عليك يا ليز.

أسرعت ترد عليه، وهي تعي أن ثمنهما باهظ حتماً.

ـ هذا ليس مطلبي.

قطب جبينه يتأملها تفلت ذراعها من قبضته وتتابع سيرها: «ما هو مطلبك؟».

ـ أريد قميصاً أو قميصين للسهرة، يتلاءمان مع سروال أسود فضفاض،

فضلاً عن بزة بيضاء.

ـ أسود!

ردد ذلك بنبرة مفعمة بالاستهجان:

ـ ستقصدين بلاداً استوائية، حارة ورطبة يا ليز، وعليك أن ترتدي ملابس خفيفة.

ـ ولكن الأسود يتلاءم مع كل الأماكن.

ـ أحب اللون الأخضر عليك.

أجابته بحدة: «قلما يهمني ما تحبه يا كول... فأنت لن تسافر معنا».

وتنفست الصعداء بعد أن تمكنت من إفهامه صراحة، بأن إرضاءه ليس غايتها.

أعلن بلهجة حازمة: «كل ما يروق لي، سيروق حتماً لأمي.. لذا علينا أن نعود و..».

ردت عليه بإصرار وهي تشير إلى المتجر الذي كانت تقصده:

ـ كلا.. سأدخل إلى هذا المتجر..

كانت جدران المتجر مغطاة برفوف خشبية لا تحصى، كدست عليها ملابس مختلفة، تعد بخيار واسع ومتنوع. وما كادت ليز ترفع يدها إلى إحدى الرفوف، حتى قبض كول على ذراعها وجرها إلى الخارج، وهو يصرخ مستنكراً، مقطب الجبين: «متجر الملابس المستعملة؟».

قالت له غاضبة: «ولكنها من تصميم كبار المصممين.. ومعظمها في حالة جيدة ولم يستعمل إلا مرات قليلة».

ـ لن أسمح لك بارتداء ملابس رمتها امرأة أخرى.

كانت نبرة صوته عنيفة، فلم تستطع الرد عليه وقد أربكها موقفه العدواني.. وإذا به يمرر يده على خدها مداعباً، ويرفع ذقنها بإصبعه لتقابل عيناها عينيه الزرقاوين الآمرتين:



ـ لن أسمح لك بأن تضعي نفسك في المرتبة الثانية.. فأنت مميزة يا ليز هارت.. وصفوة الصفوة.. وسترتدين ملابس تتلاءم مع مكانتك..

وتأبط ذراعها وعاد بها إلى الطرف الآخر من الشارع قبل أن تجد ليز الكلمات المناسبة للرد عليه..

أحست بخدها يشتعل من تأثير لمسته، وقلبها يرتعد في أذنيها... وعجزت عن التفكير بشكل منطقي وجسده يمس جسدها برفق، وهي تحث الخطى بقربه، لتتمكن من اللحاق بخطواته الواسعة..

إلا أنها لم تجد مفراً من الكلام: «كول.. أنفقت مدخراتي كلها لشراء...».

قاطعها قائلاً: «سأدفع ثمن كل ما تريدين شراءه.. اعتبريها علاوة لأفضل سكرتيرة خاصة حظيت بها..».

علاوة.. أفضل سكرتيرة خاصة.. صفوة الصفوة..

أخذت هذه الكلمات الرنانة تطن في رأسها... كانت مذهلة.. ساحرة.. وتذكرت في تلك اللحظة ما قالته لها والدته: «إنه يهتم لأمرك».

دخلا إلى المتجر الذي مرا به قبل قليل، وقلبها يطير من الفرح..

قال للبائعة وهو يشير إلى الواجهة: «نريد أن نجرب هذه الملابس».

كانت تنبعث منه قوة غريبة حثّت المرأة على الإذعان لرغباته في الحال.. فقادت ليز إلى حجرة تغيير الملابس وناولتها سروالاً وقميصاً من قياسها بلمح البصر.

ـ أريد أن أراها عليك.

ثم تابع يقول بلهجة الآمر: «هات كل ما عندك من ملابس قد تلائمها..».

لم تتزعج ليز يوماً من شراء الملابس المستعملة ولكن تصميم كول على إيفائها حقها أسكرها ووجدت صعوبة في مقاومته.

أحبت البزة الخضراء كثيراً، وشعرت بقلبها يرفرف من الإثارة وهي ترى نظرات الإعجاب في عينيه... إنه يجدها مميزة وجذابة فعلاً..

اختار لها بعدها قميصاً خضراء بلا كمين، ياقتها مكورة، ومعها سروال أبيض مطبع بالإجاص الأخضر، والفريز والمانغو... سروال من النوع الذي لم تجرؤ يوماً على ارتداؤه..

إلا أنه بدا رائعاً عليها، ووقفت تعرضه عليه بمرح.. فابتسم لها ابتسامة عريضة رافعاً إبهامه علامة الموافقة.. وبادلته الابتسامة بأخرى مفعمة بالبهجة مطلقة العنان لحماستها...

ـ اشترينا بما فيه الكفاية من هنا.. سنقصد متجراً آخر لشراء الزي الأبيض.

واصطحبها إلى متجر كارلا زاماتي المجهز بمجموعة متنوعة من أزياء الربيع، ابتكرها أحد أشهر المصممين في أستراليا. فاختار لها بمساعدة البائعة، تنورة مطرزة بيضاء ذات كشاكش، وقميصاً ملائمة يزينهما حزام جلدي مائل إلى الحمرة، وقرطان هنديان يتدلى منهما خرز وريش من اللونين عينهما، فضلاً عن صندل أبيض ذي كعبين عاليين، لفّت شريطيه الطويلين بشكل متصالب على كاحليها.

جاءت النتيجة مذهلة.. ولم تصدق ليز عينيها حين رأت صورتها في المرآة.. وأسرعت تخرج من الحجرة بلا تروٍ.. تأملها كول من أخمص رجليها إلى أعلى رأسها، قبل أن ترتاح عيناه قليلاً على كتفيها وقد أنزلت البائعة الياقة قليلاً لتعطي تأثيراً باهراً.

ابتسم لها ابتسامة مثيرة وهو يحدق في القرطين الغريبين ثم رفع رأسه نحوها، فرأت نيران الشوق تتأجج في عينيه..

قالت البائعة بحماسة: «أظن أن هذه القميص القطنية العسلية المزينة بشرائط، تتلاءم مع التنورة أيضاً».



أجابها كول بلهفة: «أجل أريدها أن تجربها أيضاً».

كانت القميص رقيقة ناعمة، التصقت بجسمها، مثيرة إعجاب كول، الذي تفاقمت حماسته في اختيار ملابس لها على ذوقه، فقال للبائعة مشيراً إلى كومة من الملابس:

ـ أعجبني ذلك القميص المطبع كجلد النمر.

سألته البائعة مستفهمة:

ـ أتقصد تلك القميص الحريرية ذي الكم المكشكش؟

ـ إنها مثيرة للغاية.

ـ وتتلاءم مع السروال الساتان البرونزي، والحزام البرونزي المزين بشرائط.

بدا واضحاً أن البائعة تحاول استغلال اندفاع كول لشراء المزيد من الملابس لها إلى أقصى حد. فلم تجد ليز مفراً من الاعتراض قائلة: «لا أريد المزيد من الملابس».

ـ هذه البزة فحسب...

أجابها بمرح وهو يبتسم لها ابتسامة رقيقة:

ـ رأيتك تتعلين حذاءً برونزياً الأسبوع الماضي.. والقماش المطبع كجلد النمر يليق بك كثيراً...

ألا يستطيع أن يردعه أحد أبداً؟

أحست ليز بالبهجة وتأنيب الضمير في آن معاً، وهما يغادران المتجر، محملين بالأكياس.

ـ هل أنت سعيدة؟

سألها وعيناه تومضان بوميض النصر.

ـ أجل.. ولكن، ليتني لم أرضخ لإصرارك.

رفع حاجبيه مزهواً بنفسه: «كان القرار قراري».

أخذت ليز نفساً عميقاً آملة أن يخفف من حدة الخفقان في صدرها:

ـ كنت كريماً جداً معي.. أشكرك..

ضحك لها قائلاً: «أمضيت وقتاً ممتعاً... وهذا ما يحتاج إليه كلانا... بعض الوقت المرح..».

ونظر إليها بعينين عابثتين.. فخيل إليها للوهلة الأولى أن عينيها تخونانها.. ولكنها ما لبثت أن أدركت أن توقعات ديانا بدأت تصيب هدفها..

أيعقل أن تؤثر أناقة المرأة على نظرة الرجل إليها؟ فعلى الرغم من أن زواجه من تارا سامرفيل هو خير دليل على تفاعله مع شكل المرأة الخارجي، فقد كانت ليز ترفض القول إن الجاذبية هي ثمرة المظهر الخارجي فحسب!

ولكن كول يعرف ليز الإنسانة حق المعرفة أيضاً.. فقد عملا معاً على مدى ثلاث سنوات بكاملها... أليست أفضل سكرتيرة خاصة حظي بها؟

وهذا يعني أنه يكنّ لها الود، علاوة على الاحترام، ويعتبرها موضع ثقة!

ألا يجعل ذلك كله هذا الانجذاب القوي المفاجىء مقبولاً؟ أم تراه مجرد نزوة زائلة؟

وصلا قرب السيارة وفتح كول الصندوق ليضع فيه الأكياس..

قال لها وهو يساعدها على التخلص من حملها:

ـ علينا أن نضع الأغراض في منزلك، ونخرج بعدها لتناول العشاء احتفالاً!

ـ احتفالاً بماذا؟ بتبذيرك المفرط؟

ـ إنك تستحقين كل فلس أنفقته عليك.

وأقفل صندوق السيارة وعلى وجهه علامات السرور، ثم ابتسم لها قائلاً:

ـ لا تُشترى البهجة بسهولة يا ليز.. وها نحن في غاية الانشراح.



من الصعب أن تنكر ذلك، ولكن انشراحها امتزج بمشاعر لم تثر فيها منذ زمن طويل... مشاعر لا علاقة لها أبداً بشراء الملابس الجديدة والفاخرة...

ـ هل سنحتفل ببهجتنا؟

ـ ولمَ لا؟

وفتح لها باب السيارة وأضاف قائلاً: «علينا أن ننسى العذاب الذي ذاقه كل واحد منا مع حبيبه السابق وإن لليلة واحدة فقط، ونحاول أن نلهو قدر المستطاع لليلة واحدة فقط...».

أعادها هذا إلى أرض الواقع.. وكذلك ذكره لأحبائهما السابقين...

ارتمت ليز في مقعدها وحاولت أن تحصر تفكيرها علّها تزيل الغموض الذي لفّ كلامه.. فنشوة الانجذاب الذي بدأ يشق طريقه إلى قلبيهما أنستها المرارة التي خلفها رحيل براندن.. إلا أنه لم تمضِ إلا ثلاثة أسابيع على رحيله، وكول استعاد ذكرياته مع تارا هذا الصباح..

قبل أن ينطلقا في رحلة التسوق قال لها إنه ليس لديه ما يعود من أجله إلى المنزل... إذ تركت تارا فراغاً كبيراً في حياته.. أتراه يبحث عن شخص يملأ هذا الفراغ؟ أم تراه يريد الانتقام من تلك المرأة التي أخذت منه أكثر بكثير مما أنفق على ليز؟

نظرت إليه بطرف عينها يصعد قربها خلف المقود..

ليلة واحدة من اللهو قد تفسد علاقة العمل الوطيدة بينهما.. هل خطر ذلك على رأسه أم تراه لا يكترث للأمر؟

أشعل المحرك وابتسم لها ابتسامة رقيقة جعلت نبضها يتسارع:

ـ ما رأيك بمطعم دويل في باي روز؟ هل تحبين الكركند والمحار؟

ولمَ لا؟ ليس لديها ما تعود من أجله إلى المنزل!

ـ لا بأس.. لكنها ليلة السبت.. هل سنجد طاولة شاغرة؟

كان مطعم ثمار البحر مشهوراً في سيدني ويرتاده الكثير من الناس.

أجابها بكل ثقة: «لا عليك.. سأتصل من منزلك لأحجز طاولة لنا».

كانت أمواج الحماسة تتقاذفه ويريدها أن تنجرف معه... ولم تجد ما يمنعها من الاستمتاع برفقته.. وعادت كلمات ديانا تمر في ذهنها... «سيري مع التيار».. فمنذ بداية حياتها وهي تحكم السيطرة على الأمور، آخذة مختلف العوامل بعين الاعتبار، لتختار الأكثر نفعاً بينها...

أرادت أن تتحرر من ذلك كله.. وإن لليلة واحدة.. فتسير مع التيار تاركة لكول مهمة معالجة العواقب.. فهو رب عملها.. وصاحب القرار.



## ١٠ ـ ليلة من العمر

لم يخل كول سكرتيرته الشخصية مرحة إلى هذا الحد... إنها المرة الأولى التي يلتقيان فيها خارج جدران المكتب.. ويتناولان العشاء معاً كزوجين اجتماعيين...

لم تحاول ليز أن تخفي تلذذها بالأطباق الشهية، في حين بدا كول مستمتعاً برفقتها كل الاستمتاع.

وإذ كان يعلم جيداً مدى عشقها للسفر، حثها على التحدث عن الرحلات التي تأمل القيام بها في المستقبل.. صحيح أنه زار مدن العالم الكبرى.. ولكن رحلاته كانت بعيدة كل البعد عن المغامرات التي روتها ليز.. مغامرات تعيد إحياء التاريخ، وتربط ما بين الثقافة والأماكن الجغرافية.

تأمل كول وجهها المشع بالحماسة وعينيها المتلألئتين بلهفة شديدة لرؤية كل ما تتوق لرؤيته بعد، فتحسر في سرّه على العالم الضيق الذي حشر نفسه فيه... عالم اقتصر على جمع الأموال وتكديسها.. حري به أن يخرج من شرنقته، ويقوم برحلات إلى أماكن مختلفة مصطحباً ليز معه، لتلعب دور المرشدة السياحية، فتريه كل ما رأته عيناها...

نظر كول إلى ليز، فأبهجته حيويتها، فخطر له فجأة أن يطرح عليها سؤالاً من دون أن ينظر ملياً في عواقبه:

ـ ألا تفكرين في الزواج وتأسيس عائلة، في المستقبل يا ليز؟

خيم الحزن عليها في الحال، فتلاشى البريق من عينيها وتجهم وجهها..



www.elromancia.com

وأسرعت تخفض رموشها كدليل على خيبة آمالها في هذا الميدان، فلام نفسه في سره لإثارته موضوعاً يحرج مشاعرها، خاصة بعد أن تخلى براندن عنها، ضارباً سنوات طويلة من الحب بعرض الحائط.

نظرت إليه بعينين مفعمتين بالكآبة وعلى ثغرها طيف ابتسامة ساخرة، ثم قالت له بنبرة حملت بين ثناياها إحساساً بالهزيمة:

ـ لا أظن أنني مرغوبة كزوجة.. إذ لم يطلب أحد يدي للزواج قط.

أراد كول أن يقول لها إنها مرغوبة جداً من مختلف النواحي، إلا أنه عدل عن ذلك.. فالكلمات تبقى عديمة الجدوى إن لم ترتبط بالتجربة الشخصية...

لكنها كلمات نابعة من القلب، تبلورت معانيها في ذهنه شيئاً فشيئاً على مر النهار.. كم كانت مختلفة عن تارا.. كمَ بدأ يحبها.. وكمَ بدت مثيرة في الملابس التي تلائمها!

وتملكته رغبة شديدة بمعانقتها ليمحو الألم الذي سببه لها، ويعيد إليها المرح الذي رافقها طوال فترة بعد الظهر، وهي تدور حول نفسها في تلك التنورة البيضاء الفاتنة..

ـ ماذا عنك؟ أتفكر في الزواج ثانية؟

فاجأه سؤالها وضحك ضحكة فظة وقال: «لست على عجلة من أمري!».

ـ أكانت تجربة سيئة؟

ـ لم أحسن الحكم على الأمور.

وهز كتفيه لامبالاةً رافضاً التمادي في الموضوع: «لكنني أتمنى أن أصبح أباً من جديد...».

كان رده بمثابة اعتراف صريح منه، بامتزاج الفرح بالمرارة، خلال حياته الزوجية.



أومأت برأسها وعيناها مفعمتان بمشاعر العطف الصادقة:

ـ لا يمكنني أن أتحمل فكرة خسارة طفل من لحمي ودمي.

لم يترك موت طفلهما تأثيراً بالغاً على تارا.. مما جعل العرض الذي تقدمت به هذا الصباح، مثيراً للغيظ حقاً..

بدا له أن ليز تتمتع بحس قوي بالأمومة ولا شك أنها ستشغف بأولادها في المستقبل.. وتذكر في تلك اللحظة حديثها مع والدته، عن شقيقاتها، فسألها عن عائلتها محاولاً أن يغير مجرى الحديث.

كانت ليز خالة لأربعة أولاد بنتان وصبيان.. وتكنّ كل الحنان والمحبة لعائلتها..

تحسر كول في سره على طفولته الوحيدة، وافتقاره إلى العيش في كنف عائلة كبيرة.. فوالده لم يشأ إنجاب أكثر من طفل واحد معتبراً وجود كول بمثابة تطفل على الحياة المنظمة التي اعتاد عليها... ولكن ذلك لم يمنعه من التباهي بما حققه ابنه من إنجازات.

كانت والدته تتمنى أن تنجب فتاة.. فتاة تشبه ليز، تتشاطر معها أسرارها.. ليز هارت.. لمَ لم ينظر إليها من هذا المنظار من قبل؟ ما الذي حجب نظره عنها؟

لا شك أن تارا أعمت بصيرته وقتلت فيه كل رغبة بالتودد إلى امرأة أو حتى النظر إليها..

علاوة على ذلك، بقيت ليز على مدى سنوات طويلة مرتبطة بشخص استغلالي، هجرها عند أول فرصة أتيحت له.

صحيح أنها تحاول إزالة آثار خيبتها، لتبدأ بداية جديدة، إلا أنها كانت تحمل في أعماقها إحساساً مريراً بالفشل كأنثى... إحساس زادت تارا من حدته بسخريتها منها، فأحبطت عزيمتها..

ظل كول طوال الطريق، مشغول البال، يفكر في الظلم الذي وقع على

ليز... بدت له هادئة، هادئة جداً في مقعدها، وقد زالت تعابير الانشراح عن وجهها..

وإذ تذكر شقته الموحشة والذكريات المؤلمة التي تثيرها، لم يرق له الأمر.. لم يرق له أبداً..

كانت ليز تردد في سرها بأنها ليلة وحيدة، لا ثاني لها، محاولة أن تقنع عقلها الساذج بذلك..

غير إنها لم تستطع أن تكبح جماح لسانها طوال العشاء، مستمتعة بالأطباق الشهية، واهتمام كول المفرط فيها...

والأسوأ من ذلك كله أنه رفض أن يبادلها بالمثل ويفتح لها قلبه.. ولما سألته عن إمكانية زواجه ثانية، جاء رده السريع الساخر.. لست على عجلة من أمري.. ليبدد أوهامها كلها...

استرجعت ليز في ذهنها كياسته وظرفه خلال العشاء، وأدركت أنه يعامل زبائنه بالطريقة عينها، لا محالة.. فيستدرجهم إلى الكلام ويصغي إليهم بانتباه، ويرميهم بنظرات تنم عن اهتمامه البالغ بهم..

إنه ساحر حقاً، ولكن ذلك لا يعني شيئاً بتاتاً!

وها إنه سيوصلها الآن إلى منزلها وينتهي بعدها كل شيء..

كانت تتمنى لو أن أعصابها المتوترة تسترخي قليلاً، لتودعه بلطف ولباقة، فتظهر له بأنها مكتفية بهذا الحد، في حين أن الرغبة بالحصول على المزيد تتأجج في داخلها..

وعبثاً حاولت إخمادها.. فمع مرور ساعات النهار، كان الشوق إليه ينمو شيئاً فشيئاً في صدرها، ليتحول بعدها إلى حزن متأصل من الصعب اقتلاعه.. حزن مشحون بالكآبة أيضاً..

وتنبهت إلى أنها تطلب المستحيل... فبعد أن تراءى لها طيف الأمل ملوحاً من بعيد، عاد واختفى في ظلمة وحدتها الحالكة.



ركن كول السيارة أمام منزلها، وأطفأ المصابيح.. فخيمت الظلمة الموحشة على السيارة، خاصة وأنه ترجل منها ليفتح لها الباب..

وسمعت صوتاً من أعماقها يقول لها: «تقبلي الأمر يا فتاة.. فهو ليس لك».

فتح كول الباب لها، فنزلت من السيارة آبية هذه المرة أن تأخذ بيده الممدودة لها، مرغمة نفسها على الوقوف على قدميها بثبات.. فكل لمسة منه قد توهمها بألفة بعيدة كل البعد عن الواقع..

كان كول رب عملها، ولا بد أن يرافقها إلى الباب، بدافع من لياقته، ليغادر بعدها على أمل أن يلتقيا في المكتب نهار الاثنين.

طأطأت ليز رأسها ومشت، ووقع خطواتها يتردد في رأسها، وكأن صداه يتردد في خلاء حياتها الشخصية، وأحلامها الخائبة التي لم تتحقق قط، وكلمات والدتها التي كانت تجول في رأسها.. «تحتاجين إلى رجل يقدس الحياة الزوجية يا ليز»..

لمَ تراها لم تلتقي برجل مماثل بعد؟ كانت تحتاج إلى رجل مماثل... رجل سهل المنال..

ترقرقت الدموع في عينيها وهما يصعدان السلم المؤدي إلى شقتها.. ليتها لم تعش لحظات من السعادة المزيفة، لتعود بعدها وترتطم بأرض الواقع بقسوة!.. كان عليها أن تتمالك نفسها وتخرج مفاتيحها من حقيبة يدها، وتودع رب عملها بتهذيب مطلق، شاكرة له لطفه الشديد.. كان لطيفاً.. كريماً.. وأشعرها بأنها مميزة...

أحست بغصة في حلقها، فطرفت بعينيها وابتلعت ريقها، ثم عادت وطرفت بعينيها وابتلعت ريقها من جديد، وتمكنت في نهاية المطاف من وضع المفتاح في قفل الباب وفتحه على مصراعيه...

وبعد أن سحبت المفتاح وأعادته إلى حقيبة يدها، أخذت نفساً عميقاً

والتفتت نحو الرجل الواقف قربها قائلة: «أشكرك على كل شيء يا كول».

قالت له ذلك بتكلف بالغ، محاولة أن تبتسم له وهي ترفع رأسها إليه، لتقابل عينيه آملة ألا يرى آثار الدموع فيهما.

ـ طاب مساؤك.

ثم أضافت متظاهرة بالبهجة: «أمضيت وقتاً ممتعاً».

تصلب جسم كول لدى سماعه طردها اللبق له، ورفع رأسه ليقابل عينيها البراقتين المبللتين، الأشبه ببركتين خضراوين، تعكسان إحساساً عميقاً بالبؤس..

حتى الابتسامة التي رمته بها، كانت مرتجفة، ومتداعية، ولا أثر فيها للحظات المرح التي أمضياها معاً..

يستحسن أن ينصرف.. فهو يقف الآن على أرض خاصة.. وإن اجتازها، من الصعب جداً أن يتراجع لأنها موظفة عنده.. وعلى الرغم من ذلك، خطا خطوة إلى الأمام، مذعناً لقوة بدائية سيطرت على جسده برمته، هازئة من أفكاره المتروية.. رفع يده ليمرر أصابعه بخفة على وجهها، متمنياً من صميم قلبه أن يخفف عنها، ويواسيها ويشعرها بالأمان معه...

وانعكست في عينيها الأسئلة المريعة التي كانت تجول في رأسها باحثة عن أجوبة لها.

أحس بثقل المسؤولية على كاهله، فتحركت فيه الغرائز الذكورية بشكل عنيف، تحثه على النضال من أجلها، وحمايتها، والتمسك بها.. إنه الدور التقليدي للرجل منذ بداية الدهور، إلا أن المجتمعات الحديثة قللت كثيراً من أهميته...

مرر يده بخفة على خدها، فأحس بالدماء الحارة التي كانت تجري تحت بشرتها ثم أحنى رأسه ببطء وهو يستمتع بتأثير هذه اللحظات المشحونة بالعواطف الجياشة..



لم يحاول أن يحكم عناقه لها، تاركاً لها الفرصة لتفلت منه.. إلا أنها لم تحرك ساكناً.

تبعت ليز خطواته وقد أغوتها اللعبة، وبدأت تروق لها، وتستمتع بها.

راق له اختلافها الشديد عن تارا، الضليعة في القضايا العاطفية... وقرر أن يفوز بهذه المرأة، ويطرد من قلبها الرجل الذي أحبته سابقاً، لتحل محلها كل المشاعر التي سيتمكن من إضرامها في قلبها.. فدفعه التحدي إلى معانقتها بقوة، وإذا بعمودها الفقري يتصلب..

فعاد يعانقها محبطاً كل محاولة منها لصده.. ولكنها أرجعت رأسها إلى الخلف، وكأنها تحذره من تلك القوة التي يحاول السيطرة عليها، وقد بدا جلياً أنها في حيرة من أمرها..

أحس كول بجيشان صدرها وهي تأخذ نفساً سريعاً.. فرفت عينيها وأخفضت رموشها، لتحجب عنه اضطرابها... وعلى الرغم من الإحباط الذي سببه صدها له، غمره إحساس بالرضى، إذ بدا جلياً أنها لا تبغي صده، ولكنها كانت عاجزة عن فهم ما يجول في رأسه...

ـ لمَ فعلت ذلك؟

جاء صوتها مفعماً بالقلق من شدة خوفها من العواقب، التي من المفترض به أن يتوقعها...

حرك سؤالها العفوي والساذج مشاعر الحنان فيه... مشاعر حسبها ماتت يوم موت ابنه.. فجاش صدره بعواطف محمومة وقال:

ـ لأنني أحببت أن أفعل ذلك!

وأحس ببرعم بداية جديدة يتفتح أمام ناظريه، وأخذ قلبه يتخبط بين ضلوعه آملاً أن تكون هذه البداية صادقة.

يمكنه نسيان تارا... أو حتى موت دايفيد... لعله مجرد رجاء فحسب.. ولكنه لن يدير ظهره للفرصة المتاحة له، ليسلك طريق المستقبل

الزاهي، الواعد بكل ما تاقت إليه نفسه، في ظلمة ليالي القهر.

ـ ولكنني لست مجرد امرأة تواعدها، أليس كذلك؟

كانت ليز تحاول أن تستشف ما وراء مكنوناته..

ـ كلا.. فأنت بالنسبة إلي، أكثر من ذلك بكثير..

هزت رأسها حائرة: «أرجوك يا كول..».

وامتلأت عيناها بالشك: «علينا أن نعمل معاً..».

ـ ولكننا نعمل سوياً فعلاً.. هذا هو جوهر الموضوع.. إننا نشكل فريقاً ممتازاً.

ومرر أصابعه على حاجبيها المنعقدين وأضاف:

ـ إنني أرفع علاقتنا إلى مستوى أعلى.

ـ مستوى أعلى؟

ابتسم لها، عل وجهها المكفهر يسترخي، فترى ما رأته عيناه:

ـ أعتقد بأنني فعلت الصواب.. ولا داعي للإحساس بالسوء..

كانت كلماته واثقة، تنم عن إصراره على جرفها معه في تياره:

ـ أريد منك أن تنزعي براندن من قلبك.

ـ براندن؟

زاد هذا الاسم من حدة ارتباكها.. وأنب كول نفسه بصمت على ذكره... فجلُّ ما كان يسعى إليه، التفوق عليه، ومحو ذكراه من قلبها إلى الأبد.

صحيح أنه سلوك بدائي، إلا أنه كان يغلي في أحشائه.. فدفع ليز إلى داخل الشقة وأغلق الباب خلفها.

وقبل أن تتمكن من الاحتجاج، أخذها بين ذراعيه.

أحست بنفسها قربه صغيرة جداً، وبالغة الأنوثة في آن معاً.. ولكنه كان



يعرف حق المعرفة بأن عزيمتها الحديدية، قادرة وحدها على تحدي قوته الجبارة..

كانت ظلمة المكان تدفع قلبه إلى الخفقان أكثر فأكثر، وداعبت رائحة عطرها أنفه، فترك أصابعه تتسلل إلى خصلات شعرها الحريرية...

ثم سمعها تقول:

ـ لا!

سألها حائراً:

ـ ولِمَ لا؟

ـ لن أعجبك.

كان صوت يصرخ في أعماقها محذراً: «أنا أختلف عن تارا.. وأنا أخلو من الإثارة».

قال لها بنبرة مبطنة بمشاعر عميقة واعدة:

ـ بل أنت تعجبينني!

إلا أنها أبت أن تصدق أنه لن يقارن بينها وبين المرأة التي تزوجها...

فصرخت مسعورة:

ـ ألا ترى بأنني لست صهباء؟ أنا الفأرة البنية الصغيرة!

دمدم كول قائلاً:

ـ لم أنظر إليك قط من هذا المنظار!

وتسللت يداه إلى خصرها.

ـ لطالما كنت أجدك متألقة يا ليز هارت... عيناك متلألئتان.. وذكاؤك باهر.. وخلف ذلك كله، طبع حاد لم يغفل عني أبداً.. لا أظن أنك تملكين ذرة واحدة من الفأرة!

طمأنت كلماته الحازمة قلبها، إلا أن عقلها بقي مشوشاً ونظراته الهائمة تسبران أغوار روحها مشعلة فيها لهباً من المشاعر.

واستطرد كول في كلامه:

ـ حسبت أنك أظهرت لي حقيقتك التي كنت تخفينها في داخلك.. لذا، لا أجد من داعٍ لهذه المشاعر التي تشعرين بها.. إن النيران التي تستعر في أعماقك، بدأت تشق طريقها إلي...

وشدها ببطء إلى عناق جعلها تعي بقوته.. ووجدت ليز عناقه أكثر فتنة من أن تقاومه... فدست ذراعيها حول عنقه تبادله العناق بعناق مثله.

وإذا بشيء يتفجر بينهما... مشاعر عطش متلهفة.. عواطف كان لا بد من كبحها حتى لا توقعهما في شرك الندم لاحقاً..

فانتزع كول ذراعيها عن عنقه، برقة، وأرجع رأسه إلى الوراء لينظر إليها... فأحست ليز بالحرج لأنها لم ترد منه أن يبتعد عنها.. ولكن، على الرغم من ابتعاده عنها، كان يجاهد بكل طاقته ليقاوم...

أشعرها ذلك بالقوة، والانشراح.. فلا مجال لإنكار قوة أحاسيسه نحوها..

طبع كول قبلة ناعمة على جبينها وقال لها:

ـ تأخر الوقت وعلي أن أصحو باكراً غداً، لارتباطي بموعد هام.

رماها بنظرة مفعمة بالحنان ثم استدار.

واستدار على عقبه وغادر الشقة، تاركاً ليز في حالة من الارتباك الشديد.



## ١١ ـ على جمر الشوق

نامت ليز ملء جفونها تلك الليلة، ولم تستيقظ إلا وقد انتصف النهار.. فصعقت وهي تنظر إلى الساعة الموضوعة قرب سريرها، والتي كانت تشير إلى الثانية عشرة إلا ربع.. إذ أشرفت عطلة نهاية الأسبوع على نهايتها، وعليها أن تنهي الأعمال المنزلية، وتشتري بعض الحاجيات..

وثبت بسرعة من سريرها، وتوجهت مباشرة إلى الحمام، وهي تشعر بالبرد الشتوي القارس..

خففت المياه الحارة من ارتعاشها، وأخذت تفكر في كول وفي المشاعر التي تكنّها له.

ومر في خاطرها براندن... لَمْ تراها ظنت أنها تحبه؟.. ولكنها لم تكن تعرف ما هي المشاعر التي سيحركها في أعماقها كول.

كان براندن خسيساً، بكل ما للكلمة من معنى، بخل عليها بأشياء كثيرة.. غير أن كول أغدق عليها الملابس الفاخرة والأطباق الشهية، والعواطف الجياشة، فأحست بنفسها مدللة كل الدلال وكأن عيد الميلاد عاد إليها بأبهى حلة.

وتمنت في سرها ألا تسبب لها هذه المشاعر مشكلة تعرّض عملها للخطر.. والغريب في الأمر أن خوفها من خسارة وظيفتها لم يكن يقض مضجعها بقدر خوفها من خسارة كول..

ولكنها قررت ألا تفكر في الموضوع أو تشغل بالها بمسألة تعاطيها معه كرب عملها..



www.elromancia.com

فبعد أن قام كول بالمبادرة في التودد إليها، تماماً مثلما توقعت ديانا، وجدت ليز نفسها أمام حلين لا ثالث لهما، إما أن تدع التيار يجرفها حيثما يشاء، أو تختفي من حياته كلياً، ولكن لماذا تبتعد وقلبها يخفق له بهذا الجنون الأرعن؟

وتذكرت في تلك اللحظة، قوله إنه ليس على عجلة من أمره للزواج ثانية.

إذن هل من احتمالات أخرى تلوح في أفقها؟... أبداً...

علاوة على ذلك، من يستطيع أن يضمن إقدامه على مشروع الزواج.

خرجت من الحمام ونشفت جسمها، ثم ارتدت ملابسها وهي تمعن النظر في المرآة..

أمضت ليز بعد الظهر كله، تنهي أعمال المنزل الروتينية، وتعد ملابسها للرحلة، حرصاً منها على أن تكون كلها نظيفة وجاهزة للاستعمال.

وتساءلت في سرها عما تراها تكون ردة فعل نانسي إن علمت أن ابنها شغوف بسكرتيرته الخاصة.. وارتأت في نهاية الأمر أن تولعه بها أفضل بكثير من شغفه بتارا.. إذ لم تحب نانسي تارا قط..

كانت ليز غارقة في أعمالها حين رنَّ جرس الهاتف قرابة الساعة السابعة مساءً..

خشيت في بادىء الأمر أن ترفع السماعة وتسمع صوت ديانا على الطرف الآخر من الخط، وفي جعبتها مجموعة جديدة من النصائح...

لم تشأ أن تتحدث معها عن كول وأحسّت فجأة بمدى هشاشتها خاصة أنها تجهل تماماً ما يخبئه لها الغد.

ماذا لو كانت والدتها المتصلة؟

والدتها ليست من النوع الملحاح، ولا يهمها إلا رضى ابنتها عن نفسها.. وليز راضية اليوم عن نفسها..



رفعت ليز السماعة وقالت مبتسمة: «مرحباً! ليز تتكلم».

ـ كول يتكلم!

جاء رده الهادىء مفعماً بالسعادة!

ـ آه!

لم تجد شيئاً تقوله، وقد أخذها اتصاله على حين غرة.

ـ أرجو أن تكوني بخير؟

أعادت كلماته لها البسمة إلى ثغرها:

ـ أجل.. إنني في أفضل حال!

ضحك كول:

ـ كنت شارد الذهن طوال النهار، أفكر فيكِ.

ـ أيجدر بي أن أقول إنني آسفة؟

أسعدها أن تسمع صوته.

ـ كلا.. كان الشرود ممتعاً للغاية.

أجابها بنبرة فاترة، فأحست بالفرح يغمرها.

ـ ليتك تعرفين كم أفكر فيك.. ربما يجب أن أزورك.

ـ تنتظرنا سلسلة من الاجتماعات صباح الغد.

قالت له ذلك بنبرة متكلفة، وهي تلعب دور السكرتيرة باتقان، في حين ملأت الغبطة قلبها، بعد أن علمت أن إرادته خضعت للامتحان.. إنه خير دليل على قوة انجذابه نحوها.

ـ كنت أحاول أن أفكر بطريقة للتخلص من الأشخاص الذين سيبعدون بيننا..

بيننا.. يا لها من كلمة ساحرة!

ـ علينا أن ننجز الأعمال المتراكمة يا كول!



www.elromancia.com

حاولت أن تلفت انتباهه إلى ما ينتظره غداً من أعمال، بنبرة في غاية الجدية، مع أنها لم تكن تعير الموضوع اهتماماً، طالما أنه بدا غير مكترث.

ـ هذا صحيح... ولكن أيمكنك ارتداء الفستان البرونزي، ذي الأزرار؟.. أحب ذاك الفستان عليك.

إنه يفكر بها دائماً... لكم يسرها هذا!

ـ ليز؟

ـ نعم؟

وأحست وكأن أنفاسها تجاهد لتخرج من رئتيها..

ـ ليتك تعرفين كم أريدك..

أجابها بعزم اخترق فؤادها، وأثار خوفها من عواقب الانجراف وراء أهوائه... أتراه يلاطفها ليصل إلى غايته المنشودة؟ كم كانت تعني له كإنسانة؟

لم تجد ما تقوله له، والمخاوف والشكوك تتضارب في رأسها، والشوق في قلبها يحثها على تلبية رغباته، لتكون امرأة أحلامه، من مختلف النواحي..

اخترق كول صمتها سائلاً: «ما بك صامتة؟».

ـ أحبّ أن أسمع صوتك.

ـ هل سترتدين ذاك الفستان؟

ـ سأنفذ ما طلبته مني!

ـ ممتاز! سأنام ملء جفوني هذا المساء.. أحلاماً سعيدة..

وأقفل الخط..

هزت ليز رأسها مبهورة بالنفوذ الذي كان يتمتع به.. نفوذ لم تعرف له مثيلاً قط..



لعل محاولاتها الحثيثة لجعل الأمور تظهر في إطار صحيح، لا تمت إلى الواقع بصلة، هي السبب..

لم تكن تتمتع بأي نفوذ على كول.. فهو يحتكر النفوذ لوحده، ويحسن استخدامه..

ربما ذلك أفضل لها.. لذا لن تحاول المجادلة..

جلس كول على مكتبه أمام شاشة جهاز الكمبيوتر، التي كانت تومض بأرقام ينبغي عليه مراجعتها..

إلا أنه كان ينتظر وصول ليز بقلق بالغ.. إنها المرة الأولى التي ينتظر فيها لقاء امرأة بهذه اللهفة..

كانت سهرة البارحة مذهلة.. ولا شك أن تجاوبها معه، نسف الحواجز من أصلها.. حواجز بناها ذاك الحب لبرندان الأناني الذي لم يقدر قيمتها..

بات كول واثقاً من أن الوصول إلى قلبها لم يعد صعباً. وقرر أن يتحرك بسرعة، ويسلك طريقاً مختصرة، فلا يدعها تبتعد عنه مقدار ذرة...

ستأتي إلى المكتب هذا الصباح.. فبعد محادثتهما الهاتفية، لا بد أنها خلدت إلى فراشها، تفكر فيه.

أخذ كول نفساً عميقاً وراح يتساءل ما هذه القدرة التي تملكها هذه المرأة على مشاعره وقلبه.

لكن ماذا عنها؟ أتشعر بما يشعر به؟

ولمَ لا؟ ففي داخلها قلب حنون.. ولم يكن عليه سوى أن يطرق بابه لتفتح الباب له وحده؟

قُرع الباب..

ـ أدخل.

كانت نبرة صوته عنيفة، وقد بلغ توتر أعصابه أوجه.

دخلت ليز إلى المكتب مرتدية الفستان البرونزي ذي الأزرار..

حيته بمرح: «صباح الخير».

لم تغب عنه إمارات الشجاعة المحتجبة خلف حمرة خديها، ورأسها الشامخ، وكتفيها الدقيقتين، والابتسامة المرتجفة على ثغرها.. شجاعة تتحدى الشك والخوف، تركت فيه أثراً عميقاً.

أجابها وعلى ثغره ابتسامة مفعمة بالإعجاب والاستحسان:

- إنه صباح جميل.

بدت هادئة وهي تتقدم نحوه حاملة ملف مانيلا:

- أحضرت لك الملف الخاص بالاجتماع الأول.

بدا واضحاً أنها تفضل المباشرة بالعمل على الفور، ولكن كول ارتأى غير ذلك:

- في المرة الأخيرة التي رأيتك فيها مرتدية هذا الفستان بدوت فيه رائعة.. خلابة...

سمرتها كلماته في مكانها، وهي تنظر إلى تنورتها بارتباك شديد:

- أحقاً يعجبك؟

- بل يعجبني كل شيء عليك.

ضحكت ليز ضحكة خافتة:

- لا أدري إن كان بمقدوري تصديقك.

- هل تريدين إثباتاً؟

كان اللهو مفتاح اللعبة.. والمرء لا يمل أبداً من اللهو... في حياته.. فكم كانت مسرورة وهما يتنقلان من متجر إلى آخر، نهار السبت، يبحثان عن ملابس جديدة لها..

نظرت إليه بطرف عينيها وقد قررت المشاركة في لعبته:

- عليك الآن القيام بعملك.. لا تترك أفكارك تجنح بعيداً.



- إن وجودك بمثابة مكافأة لي على تركيزي الشديد على العمل..

وضعت الملف على المكتب، وعلى وجهها إمارات التساهل الماكر.

أخذ كول الملف الذي وضعته على المكتب، وفتحه متظاهراً بالاطلاع على التفاصيل المالية، الخاصة بالزبون الذي سيصل بين لحظة وأخرى..

انتهى الاجتماع الأول بعد حوالى الساعة. فوقف كول يحدق بتنورتها، من دون أن يتفوه بكلمة.. كان وجودها يشعره بسعادة لا نظير لها.

فاستهل الاجتماع الثاني بحماسة، وظلت نظراته تلاحقها أينما كانت.

حاول أن يخفف من وطأة تأثيرها فيه ولكن ضبط النفس بات أشبه بالتعذيب البطيء.. كبح المشاعر التي تغلي في أحشائه، وأرضى الزبون الثالث بعرض شامل وسريع حول الأسواق المالية...

وفيما كان يرافقه إلى الخارج، سلط عينيه عليها... وأراد أن يقترب منها ليحضنها ولكنه لم يجد مفراً من مرافقة الرجل إلى المصعد وتوديعه، قبل أن يعود إلى المرأة التي كانت تتحرق شوقاً لأحضانه منذ الصباح، وليذهب العمل إلى العمل..

في مطلق الأحوال، كانت ساعة الغداء قد دنت، إلا أن اشتياقه الشديد إلى ليز أنساه جوعه.. والطاقة التي كانت تحركه في تلك اللحظة لا يلزمها إلا المزيد من الوقود..

دخل إلى مكتبها وأقفل الباب خلفه حتى لا يزعجهما أحد.. كانت تقف قرب إحدى الخزائن توضب الملفات.

التفتت نحوه لدى سماعها طقطقة المزلاج... فالتقت نظراتهما، وقرأت في عينيه عواطف محمومة، جعلت عينيها تتسعان دهشة!

قال لها مطمئناً:

- لا عليك... أصبحنا الآن لوحدنا.. وأنا مشتاق جداً إليك يا ليز هارت.

لم تحرك ساكناً وقد طار قلبها فرحاً أمام شوقه الشديد إليها.. وإذا به يقف خلفها ويلف ذراعيه حولها ويشدها إليه بقوة..

لفت ذراعيها حول عنقه، تشجعه على احتضانها أكثر وقد أدركت أن شوقه خالٍ من الزيف، وليس وليد صدفة وجودها بقربه عند الحاجة.

ومع مرور الأيام سطعت هذه الحقيقة عالياً كنور الشمس.. إذ كانا يقضيان ساعات النهار كلها، معاً في المكتب، ويخرجان مساءً لتناول العشاء في إحدى المطاعم الحميمة، فيتبادلان الأحاديث المشوقة ويستمتعان بالطعام اللذيذ..

مساء الخميس فاجأها كول بإعلان، حثها على إعادة النظر في بعض الأمور:

ـ وقعت معاملات الطلاق بعد ظهر اليوم، وأصبحت الآن حراً من جديد.

شوش الارتياح البادي في نبرة صوته أفكارها، وكأن حريته بقيت مهددة إلى أن وضع القانون حداً لزواجه من تارا سامرفيل.

ومرت في خاطرها ذكرى مواجهتهم مع تارا السبت الماضي، حين شهرت أسلحتها كلها آملة أن يتصالحا، ولكن كول سد كل الطرق أمامها..

هل كانت الغاية من علاقتهما إبقاء الأبواب موصدة أمام تارا؟

فلم يعد لها مكان في عقله أو حياته بعد أن كتب السطر الأخير في كتاب زواجهما.. كتاب هو ثمرة سوء حكمه على الأمور حسب قوله..

قد تجول في خاطر المرء أفكار لا تترجم جسدياً أو عاطفياً... وإذا عكست ليز الوضع، تبين لها أنها لطالما حاولت إقناع نفسها بأشياء كثيرة عن براندن، باذلة جهدها لوضع علاقتهما في إطار إيجابي بينما كان جسدها وعقلها يتفاعلان مع ذلك، بصورة سلبية..

صحيح أنها غضت الطرف عن أمور كثيرة، إلا أن الكيل كان سيطفح



عاجلاً أم آجلاً...

وتساءلت ليز في سرها عما إذا كان اختيار كول قد وقع عليها، لتلهيه فيما يضع اللمسات الأخيرة على طلاقه..

غير أن الانجذاب القائم بينهما ليس وهماً.. ومن الصعب جداً أن يتظاهر به إن لم يكن يشعر به حقاً...

كانت شخصية كول مميزة للغاية.. فإن عقد العزم على بلوغ هدف ما، لا يكل أو يمل حتى يبلغه..

ولكن ليز لم تستشف بعد ما يريده منها، فهو لم يتطرق أبداً إلى موضوع مستقبلهما معاً.. ربما لأن الوقت ليس مؤاتياً بعد..

بعد العشاء، أوصلها كول إلى منزلها.. إنها ليلتهما الأخيرة معاً قبل أن تنطلق في رحلة مدتها أربعة عشر يوماً إلى جنوب شرقي آسيا، برفقة والدته.

فنهار الجمعة لن تذهب صباحاً إلى المكتب ليتسنى لها أن توضب حقائبها..

وعند السادسة مساءً، اتفقت مع نانسي بيرسون على أن توافيها إلى هوليداي إن، لتناول العشاء مع المجموعة السياحية، علماً أن طائرتهما ستقلع باكراً صباح السبت..

بدا كول متردداً في الانصراف.. وقال لها وعلى وجهه ابتسامة حزينة:

ـ ليتك لا تذهبين في هذه الرحلة... سأشتاق إليك..

أملت ليز في سرها أن تتيح لهما هذه الرحلة الفرصة للتفكير ملياً في علاقتهما ومستقبلهما.. وأحست بنفسها أسيرة قوة قاهرة مسحت من رأسها كل شيء عدا كول بيرسون.

لعل ابتعادها عنه يساعدها على رؤية الصواب من الخطأ.. أو عواقب العوامل المؤثرة التي رمتهما على شواطىء محظورة..

إلا أنها خشيت أن تأتي النتيجة سلبية...

## ١٢ ـ أسئلة تبحث عن أجوبة

بلغ سخط كول على السكرتيرة التي حلت مؤقتاً محل ليز أوجه، بعد ظهر الجمعة.. لمَ تصاب بالهلع كلما طلب منها شيئاً وطلباته تكاد تكون نادرة جداً؟

وتمنى أن تقدِّر والدته حجم التضحية التي قام بها حين وافق على التخلي عن ليز بغية مرافقتها في رحلتها..

وتنبه في تلك اللحظة أنه لم يتصل بوالدته بعد، ليتأكد من وصول سيارة الليموزين التي ستقلها إلى المطار، ويخفف من حالة الاهتياج الشديد التي تصيبها في الدقائق الأخيرة، قبل سفرها، فرفع سماعة الهاتف وطلب رقم منزل بالم بيتش... وإذا بوالدته تجيب لاهثة:

ـ نعم؟

ـ هدئي من روعك يا أمي.. لن يمانع سائق الليموزين في انتظارك قليلاً ريثما تتأكدين من أنك لم تنسي شيئاً.

ـ آ! هذا أنت يا كول! كنت أقفل أبواب المنزل كلها!

ـ سأقصد المنزل غداً لأتأكد ثانية من أن أجهزة الإنذار كلها تعمل.. فلا داعي للقلق بهذا الشأن!... اتفقنا؟

ـ شكراً يا حبيبي.. علي أن أتأكد من أشياء كثيرة قبل رحيلي.. اتصلت بـ «ليزتك» وأكدت لي أنها أنهت ترتيب أمورها كلها.

«ليزته».. من المؤسف أنها بعيدة عنه الآن...



ـ لا شك عندي في ذلك!

ـ كم هي لطيفة!

وافقته والدته الرأي بحماسة:

ـ آمل أن نلتقي بصديقها في كانمندو.. لا أصدق أنه لن يعيد التفكير في علاقتهما...

ـ ماذا؟

صرخ كول مصعوقاً وقد شلت الصدمة ذهنه لبضع لحظات.

قالت والدته بنبرة هادئة:

ـ لا بد أنك تعرفه... يدعى براندن ويلير. وخطوبتهما دامت أكثر من ثلاث سنوات.

ـ أجل.. إنني على علم بأمره.

جاء رد كول مفعماً بالحدة.

ـ لكنني لم أكن أعلم بوجوده في كانمندو.. متى أخبرتك ليز ذلك؟

ـ السبت الفائت، فيما كنا نوضب ملابس السفر... فقد بدا لي غريباً ألا تكون مرتبطة، وحين سألتها...

ـ صحيح..!

حصل ذلك قبل تودده إليها... ولا يعقل أن توافق الآن على العودة إليه... أليس كذلك؟

ـ لكن براندن تركها يا أمي... وأتمنى ألا ترادك أفكاراً رومانسية بشأن جمع شملهما ثانية.

ـ أظن أن فكرة الارتباط أثارت هلع الشاب.. ولكن إن تقابلا ثانية..

قاطعها كول متوعداً:

ـ أتحسبين أنني أنفق المال على سكرتيرتي الخاصة لتفر مع ذلك الشاب في

كاتمندو؟ إن علمت أنك ساهمت في ذلك، بطريقة أو بأخرى...

ـ عزيزي! لم يخطر الأمر على بالي... حسناً... لا أظنها قد تفكر في الفرار معه.. فهي إنسانة واعية، وستصر على براندن ليلحق بها إلى ديارها، مثبتاً حسن نيته.

أجابها بحدة وهو يصر على أسنانه:

ـ أفضل تفادي هذا الموضوع من الأساس.

لم يغب المرح من نبرة صوت والدته وهي تقول له:

ـ لا يمكنك أن تعترض مشيئة القدر يا عزيزي!

أدرك كول والغضب يملأ قلبه، أن القدر متقلب وخداع.. وتذكر في تلك اللحظة أن ليز وافقت على السفر برفقة والدته، من دون تردد، بعد أن أتى على ذكر النيبال.. من المؤكد أنها ربطت ما بين براندن وكاتمندو، وأرادت أن تعطي انطباعاً حسناً لوالدته، خلال الغداء، فتضمن مكاناً لها على تلك الرحلة.. والأمل بلقائه هناك يغريها... ولم تتوانَ عن الكشف عن مكانه أمام والدته..

ـ لا تحشري أنفك في هذا الموضوع يا أمي. وإياك ولعب دور المتواطئة، واعلمي أن براندن ليس الرجل المناسب لليز.

ـ ليس الرجل المناسب لها؟

لم تخلُ نبرة صوتها من بعض السخرية:

ـ ولِمَ بقيت مخطوبة له طوال تلك السنوات؟ ولا تنس أنها لم تكن صاحبة القرار بفسخ الخطوبة.

أراد أن يصرخ معلناً لها شغفه الشديد بليز، إلا أنه خشي أن تبدأ أجراس العرس تدق في أذني والدته.. وهو لم يكن مستعداً بعد لمواجهة هذه المسألة.

ـ ألا تذكرين أنه قمعها، وأذلها وانتقص من قدرها؟ إنني على علم بكل ما حصل يا أمي.. فدعي الأمور على حالها، لأن ليز مرتاحة من دونه.



لزمت والدته الصمت لبضع ثوانٍ.. ثم:

ـ إنك تهتم لأمرها كثيراً، أليس كذلك؟

يهتم لأمرها؟ من دون أدنى شك.. ويأبى أن يفقدها لصالح رجل مغفل لم يحسن الحفاظ عليها...

فلم يجد بداً من إزالة تعاطف والدته مع قضية إعادة جمع شمل ليز وبراندن.

ـ مرت ليز بأوقات عصيبة يا أمي..

قال لها ذلك بنبرة رقيقة: «فاحرصي على جعلها تستمتع بهذه الرحلة من دون إثارة المتاعب».

وعدته بحرارة: «سأبذل قصارى جهدي...».

ها هي الأم التي تبالغ في الاعتناء بأولادها، تهب إلى نجدة ابنها الجريح.. تنفس كول الصعداء:

ـ حسناً.. أتمنى أن تمضيا وقتاً ممتعاً!

ـ شكراً لك... وصلت سيارة الليموزين.. علي أن أقفل الخط يا عزيزتي.. إلى اللقاء.. وأشكرك على كل شيء..

وأقفلت الخط..

أعاد كول السماعة إلى مكانها ووقف يحدق في الهاتف، مقاوماً الرغبة الشديدة التي تملكته في الاتصال بليز..

ولكن ماذا تراه يقول لها بعد؟ قال لها البارحة إنه سيشتاق إليها وأظهر لها مدى تعلقه بها، لتدرك أنه سينتظر عودتها إليه بفارغ الصبر..

وتضرع إلى الله ألا تطرح جانباً المشاعر التي تجمع بينهما وتعود إلى براندن. هل هي مغفلة إلى هذا الحد؟ أم تراه لم يحسن الحكم على الأمور؟

نهض كول من مكانه وراح يذرع أرض المكتب جيئة وذهاباً، وقد بلغ القلق منه مبلغاً... فمعظم ما قاله لوالدته على الهاتف، مجرد افتراضات من



www.elromancia.com

جانبه..

ربما كانت ليز تشعر بالأمان، بقرب رجل مثل براندن، الذي قلما يكترث للأنثى التي ترقد في أعماقها، ولا يهمه أن يدخر المال للزواج أو تأسيس عائلة... رجل انسحب من حياتها بين ليلة وضحاها، خوفاً من حسن تدبيرها للأمور..

اكتفت ليز بالإدلاء بهذا القدر من المعلومات حول علاقتهما، أمامه.. أما البقية، فتولى كول تأويلها...

ماذا لو كان على خطأ؟

ماذا لو التقت ببراندن في كاتمندو وحنّت إليه من جديد؟

أتراها تضرب كل المشاعر التي يشعران بها عرض الحائط؟

هل كان يعني شيئاً لها؟

جلّ ما قاله لها إنه يجب أن يكون معها ولكنه لم يكن يكذب.. وليز وافقته الرأي.. هل كان ذلك كافياً لتتمسك به وترفض التخلي عنه؟

لم يجد كول أجوبة على تساؤلاته الكثيرة وأدرك أنه لم يعد بوسعه أن يفعل شيئاً لترجح كفة الميزان لصالحه.

علاوة على ذلك، كانت مدينة كاتمندو كبيرة جداً، وبرنامج الرحلة حافل بالنشاطات.. مما يعني أن احتمال لقائها ببراندن ضئيل جداً..

ألم يكن الهدف الأساسي من إرسالها في هذه الرحلة، أن تلازم والدته، ليل نهار، وتسهر على راحتها؟

ولدقائق قليلة خلت، حذر والدته عبر الهاتف من أن تدع ليز تغيب عن نظرها..

أخذ كول نفساً عميقاً وعاد ليجلس خلف مكتبه.

لن تتخلى ليز عنه..

إنه يضيع وقته سدىً بالتفكير في أمور لا يملك سلطاناً عليها..



ولعل رغبته الشديدة بالتحكم بكل ما يتعلق بليز هارت جعلته في حالة من الاضطراب الشديد.

www.elromancia.com

## ١٣ ـ لا وقت للتفكير

سرعان ما اكتشفت ليز أن السفر برفقة نانسي بيرسون ليس شاقاً . . فعلى غرار النساء اللواتي في سنها، كانت تحتاج إلى من يذكرها بأماكن الرحلات وزمانها، فضلاً عن مواعيد إخراج الحقائب من الغرف . . .

كانت نانسي تتقبل كلام ليز برحابة صدر، وهي ممتنة لها كل الامتنان لأنها تحرص على أن تسير الأمور على خير ما يرام . .

استمتعت ليز بالسفر في طائرات خاصة مؤجرة، تحمل على متنها مئتي سائح آخر، كل واحد منهم يترقب المغامرة الجديدة التي تنتظره بحماسة شديدة . .

ـ يسرني أنك تمكنت من مرافقتي .

قالت لها نانسي ذلك وعيناها تومضان فرحاً . .

ـ وأنا أيضاً . . فالرحلة رائعة . .

فضحكت نانسي «إنني سعيدة» .

ومالت نحوها هامسة :

ـ وقع كول على معاملات الطلاق نهار الخميس . . وبات الآن حراً . .

ـ هذا خبر جيد .

اكتفت ليز بهذه الكلمات المقتضبة، وهي لا تدري ما يجدر بها أن تقوله .

ـ سيكون زوجاً رائعاً للمرأة المناسبة له . .

استطردت نانسي في كلامها، وهي ترمقها بنظرات امتزج فيها التمني



باللهفة . فأحست ليز بموجة من الحرارة تجتاح عنقها وتدفعها إلى القول لرفيقتها :

ـ من مر بتجربة زواج فاشلة، يرفض عادة فكرة الزواج ثانية .

ـ ولكن كول كان يعشق ابنه . . وبعد فاجعة وفاته، غرق في الحزن وقتاً طويلاً . . وأظنه يتمنى أن ينجب أولاداً آخرين في القريب العاجل لأنه بدأ يتقدم في السن .

ـ يستطيع المرء إنجاب الأولاد ساعة يشاء .

عبرت ليز عن رأيها بنبرة جافة :

ـ ولكن ساعة المرأة البيولوجية لا تتكتك إلا في أوقات محددة . . .

ـ أخشى أن يصبح عنيداً مع تقدمه في السن .

وتنهدت تنهيدة حزن .

ـ كان والده عنيداً ولم يرغب بإنجاب أكثر من طفل واحد . . ولكن كول يختلف عنه، ويقدس مشاعر الأبوة .

ـ قد يصبح أباً، يوماً ما . .

رمتها نانسي بنظرة ثاقبة : «أتريدين إنجاب الأولاد يا ليز؟» .

تورد خداها : «يوماً ما!» .

تنهدت نانسي من جديد :

ـ أود أن أصبح جدة من جديد . . لا بد أن والدتك سعيدة بأحفادها .

ـ هذا صحيح . . خاصة توأم الصبية لأنها لم تنجب إلا البنات .

لحسن الحظ أن حديثهما اتخذ اتجاهاً مختلفاً لتكف نانسي عن الكلام عن كول، كعريس يملك المؤهلات اللازمة كلها . . فتتمكن عندها ليز من استعادة هدوءها . .

عند وصولهما إلى كوتشينغ وجدت ليز نفسها مبهورة بعالم يختلف كل الاختلاف عن عالمها .



www.elromancia.com

كان الفندق يطل على نهر ساواراك الذي يعج بمراكب صيد وزوارق صغيرة.. زوارق تجسد روح الشرق..

تعرف كاتشينغ بأنها مدينة القطط وهي تضم متحفاً للقطط فيه مجموعة مذهلة من بقايا هذه الأجناس السنورية..

في اليوم التالي توجهوا في الباص إلى محمية سيمينغو أورانغوتان، حيث شاهدوا الحيوانات الأقرب إلى البشر، من حيث الشكل الخارجي.. حيوانات انقرضت ولم يعد لها وجود إلا في بورنيو.

لفتت انتباه ليز رشاقة إنسان الغاب في القفز على الشجر، إلا أنها لن تنسى أبداً عينيه.. عينان تشبهان عيني الإنسان بتعابيرهما...

وفي وقت لاحق قاموا بزيارة بيت طويل، يعيش فيه حوالى مئة رجل وامرأة وطفل، على الطريقة التقليدية... فتحتل كل عائلة رواقاً فيه، وتتشاطر مع العائلات الأخرى شرفة فسيحة، تعد بمثابة منطقة مشتركة، فلا أحد يعيش هنا منعزلاً، كما في مباني الشقق الحديثة، لأن الرفقة الدائمة تؤمن الانسجام السعيد... إنها أشبه بنمط حياة يضمن إحساساً بالرضى والأمان..

لم تكن ليز تحب أن تمضي بقية عمرها وحيدة ولكنها لا تحبذ فكرة العودة للعيش مع ذويها...

كانت قد بلغت الثلاثين من عمرها، وشقتها لا تزال مرهونة للمصرف، إلا أنها لم تجد بعد شخصاً يشاركها فيها بشكل دائم.. حتى جيرانها في المبنى، كانوا أشبه بالسفن العابرة ليلاً..

ما الذي ينتظرها في المستقبل؟

هل يفكر كول بالزواج بها ليؤسسا عائلة معاً؟

أحست بالألم يعتصر فؤادها.. فمنذ زمن بعيد وإعجابها به ينمو في قلبها شيئاً فشيئاً... إعجاب لم تقوَ على البوح به، ورب عملها يعيش في برج



عالٍ، بعيد عن متناولها..

علاوة على ذلك، لم يظهر كول اهتماماً بها كامرأة، قبل أن... ما الذي أثار اهتمامه يا ترى؟ الشكل الجديد؟ أم خروج براندن من حياتها، وتحررها من قيوده؟ أم لعله لم يجد أحداً أفضل منها، ليستعمله كدرع يقيه من هجومات تارا المغوية؟

كانت علاقتهما تفتقر إلى الأساس المتين الذي يقيها على مدى الزمان من العوامل الخارجية... وبقدر ما كانت تتمنى أن تسبر أغوار علاقة جدية مع كول، لم تكن متأكدة من المسلك الذي قد تسلكه، مما جعلها تخشى النهاية..

قد تؤول بها الأمور إلى حالة أسوأ من تلك التي مرت بها يوم رحيل براندن، فلا تعود قادرة على العمل معه، ورؤيته كل يوم...

هل كان كول يعي ذلك؟ هل خطر له بأن يفكر قليلاً بالأمر؟

صحيح أن ديانا نصحتها بأن تسير مع التيار، إلا أنها لم تعد واثقة من هذه النصيحة، خاصة إن كان التيار سيجرفها إلى الهاوية.

وارتأت ليز في نهاية الأمر ألا تتسرع في اتخاذ القرارات، لأن أفكارها مشوشة وذهنها مرتبك ولن تتمكن من التوصل إلى قرار حكيم.

في اليوم التالي، قامت المجموعة برحلة رائعة في المركب إلى منتزه باكو الوطني، حيث اجتازوا إحدى غابات المطر وسبحوا في بحر الصين الجنوبي فأحست ليز لنفسها بعيدة آلاف الأميال عن الحياة المتكلفة في أستراليا.. إنها حياة بدائية حسية وبسيطة، تكثر فيها الملذات وتمر فيها الدقائق والساعات من دون هم أو غم.

بعد مغادرتها كوتشينغ، توجهت المجموعة إلى رانغون في بورما أو يانغون في ميانمار كما هي معروفة اليوم.

تعد هذه البلاد من أغنى دول جنوب شرق آسيا، وآثار أمجادها تظهر في كل مكان، فقبة شويداغون باغودا الشاهقة المغطاة بستين طن من الذهب

وعلى رأسها برج بوذي ملبس بالماس والياقوت والزمرد، تخطف الأنفاس..

والقطار البخاري القديم الذي استأجرته الوكالة لنقل السواح، في رحلة عبر الأرياف وحقول الأرز الخضراء، والقرى الصغيرة التي لم يتغير فيها شيء على مر العصور، كان خير دليل على رفاهية وسائل النقل في تلك الحقبة الماضية.

فقد زينت الحافلات بأحلى الأزهار وتميزت مقصوراتها باتساعها، والمقاعد بفخامتها والنوافذ بسهولة فتحها، فوجدت ليز متعة بالغة بالتلويح للناس الذين كانوا يمرون بهم، ويبادلونهم التلويح. قالت نانسي ضاحكة: «أشعر وكأنني ملكة إنكلترا! كم هذا ممتع!».

في الليلة الأخيرة لهم في رانغون، نُظمت «أمسية استعمارية» في فندق ستراند أوتيل الذي بناه إمبراطور إنكليزي وافتتح عام ١٩٠١... وقيل يومها فيه «إنه واحد من أفخم الفنادق شرقي السويس، ويحظى برعاية الأسر المالكة والنبلاء وكبار الشخصيات».

وفي سبيل إحياء روح الحقبة البريطانية الإنكليزية، وزعت على الرجال خوذات ذات طابع استعماري، وعلى النساء مظلات مصنوعة من الخشب والورق المطبع بالورود، فيما طُلب من الجميع ارتداء الأبيض.

اختارت ليز لتلك السهرة التنورة المطرزة البيضاء ذات الكشاكش، والقميص الريفي الملائم اللذين اشتراهما لها كول.. وإذا بذكريات تسوقهما معاً تمر في خاطرها..

«إنك إنسانة مميزة يا ليز هارت... وصفوة الصفوة وسترتدين ملابس تتلاءم مع مكانتك».

لعله كان يقصد بذلك كفاءتها كسكرتيرة خاصة فحسب.. فعلى الرغم من رغبتها الشديدة بأن تصدق أنه وقع في هواها، كانت ليز تشعر بأنه لا يفكر بالارتباط العاطفي.



ولكن كيف سمحت لنفسها بأن تسترسل في أحلام اليقظة، وهي تدرك تمام الإدراك أنها مجرد أحلام؟

- كم هي جميلة ملابسك!

قالت لها نانسي ذلك وهي ترمقها بنظرات الإعجاب، فيما كانتا تغادران غرفتهما.

عضت ليز على شفتها علها تكبح نفسها عن الكلام:

- إنها من اختيار ابنك..

ثم أرغمت نفسها على الابتسام وأضافت:

- تبدين رائعة في هذه الملابس يا نانسي!

اختارت نانسي لتلك الأمسية قميصاً أبيض، زينت ياقته وحاشيته بحبات من اللؤلؤ وتدلت تحته تنورة حريرية ضيقة من اللون نفسه..

في الواقع كانت نانسي على صواب بشأن ملابس الرحلة.. فخلال النهار بقيت الملابس العملية سيدة الموقف، ولكنها لم تجد مفراً من ارتداء الملابس الأنيقة خلال حفلات العشاء التي كانت بمعظمها مميزة..

علت إمارات السرور وجه نانسي لدى سماعها مديحها:

- شكراً يا عزيزتي.. إنها الليلة الأخيرة لنا هنا، وعلينا أن ننتهز الفرصة ونستمتع بوقتنا فغداً نتوجه إلى كاتمندو.

لزمت ليز الصمت وقد أثار ذكرها لكاتمندو ذكرى براندن في رأسها..

أتراه سعيداً بابتعاده عنها آلاف الأميال؟ وإن شاءت الصدف أن يلتقيا، هل سيخالها لحقت به؟ وما تراها تكون ردة فعله؟

قلما يهمها الأمر.. ثلاث سنوات من عمرها ذهبت معه هباءً، ولن تضيع دقيقة واحدة بعد في التفكير في علاقة لم يعد لها من وجود.

ولكن هل كانت علاقتها بكول أفضل حالاً؟

استقل الجميع الباص إلى فندق ستراند أوتيل، وكان الرجال يتباهون

ضاحكين بخوذاتهم التي تحيي ذكرى الحكم البريطاني، فيما راحت النساء تدرن مظلاتهنَّ بغنج ودلال، وقد وجدنَ الفرصة المتاحة أمامهنَّ للعودة بالزمن إلى حقبة غابرة، مثيرة جداً للاهتمام.

عند وصولهم إلى الفندق، دخلوا ردهة استقبال فسيحة، مؤلفة من طابقين، طرازها قديم جداً، وعلقت في سقفها مراوح وشمعدانات تخطف الأنفاس.

وأسرع الخدم يتنقلون بين أفراد المجموعة حاملين أطباقاً وضعت عليها المقبلات الشهية والمشروبات المنعشة.

كانت تطل على الردهة، شرفة علوية يحيط بها من الجهات الأربع درابزين خشبي مصقول..

جالت نانسي بعينيها في المكان مستمتعة بجو الفندق الذي حافظ بأمانة على طابعه القديم..

سمعت ليز شهقتها فرفعت تلقائياً عينيها إلى حيث كان نظرها مسمراً، وإذا بها تجفل من وقع الصدمة:

ـ رباه! إنه كول!

كان كول يقف على الشرفة، يراقب الحشد المتدافع في الردهة.. ولما وقعت عيناه عليهما ظهرت ابتسامة عريضة على ثغره، ورفع يده ملوحاً لهما، ثم استدار وتوجه نحو السلم المؤدي إلى الردهة.

أحست ليز بأعصابها تتوتر من تأثير الصدمة، وتدافعت التساؤلات في رأسها حول سبب مجيئه.. لم يقل لها إنه قد يلحق بهما... أتراه يريد التأكد بنفسه من حسن تدبيرها للأمور؟ ألا يثق بها كفاية ليدعها لوحدها مع والدته؟

ـ حسناً.. حسناً.. حسناً.

كانت نبرة صوت نانسي تدل على مدى سرورها.



ـ أخذ كول إجازة من العمل ليلحق بنا.. أليس الأمر رائعاً؟

انتشلتها كلمات نانسي من أفكارها المضطربة.. فسألتها بصوت مخنوق، وقد أحست بغصة في حلقها:

ـ هل دعوته للانضمام إلينا؟

هزت ليز رأسها مشدوهة: «لم يخطر الأمر على بالي قط».

ورمضت عيناها بمكر وأضافت:

ـ ولكن مجيئه قبل مغادرتنا إلى كانمندو يدعو حتماً للتفاؤل!

ـ يدعو للتفاؤل؟

رددت ليز كلماتها بارتباك، وهي لا تفهم ما ترمي إليه العجوز.

ـ أجل يا عزيزتي.. إنها إشارة حسنة!

وابتسمت ابتسامة رضى.

إشارة إلى ماذا؟

لم يتسنى لها الوقت لتسأل نانسي.. إذ وصل كول إلى الطابق السفلي، وبدأ بشق طريقه نحوهما! كانت طلته مهيبة، وتنبعث منه عزيمة لا تقهر، فراح الناس يتنحون جانباً ليدعوه يمر، فيما كانت الرؤوس تلتفت إليه، والنساء يتأملنه من رأسه إلى أخمص قدميه...

بدا وسيماً جداً في بذلته الكتانية البيضاء، والقميص القطني الأسود.. فسلمت ليز في سرها بأنه فريد عصره، وقد أخذ قلبها يتخبط بين ضلوعها مع اقترابه منهما...

ابتسم لهما رافعاً يديه ليضمهما إليه معاً وهو يقول:

ـ لا أرى أحداً أجمل منكما في القاعة كلها.

ضحكت والدته: «يا لها من مفاجأة!».

ـ أرجو أن تكون مفاجأة سارة.

وحول نظره إلى ليز، فأحست بعينيه الزرقاوين الثاقبتين أشبه بإشعاعات ليزر تحرق بشرتها!

ظهرت على ثغره ابتسامة ملتوية وهو يستطرد قائلاً:

ـ كان يكفي أن أمضي يوماً واحداً مع السكرتيرة البديلة لأقرر السفر في إجازة.. من الصعب استبدالك يا ليز!

أتراه يقصد القول إنه لا يستطيع العيش من دونها؟

اشتعلت نيران الإثارة في رأسها:

ـ هل اتخذت الإجراءات اللازمة لتنضم إلى المجموعة؟

ـ لليلة واحدة فقط.. في الواقع، حجزت غرفة ليومين في هذا الفندق، وخطر لي أن أمضي الليلة برفقتكما..

ليلة واحدة!.. في هذا الفندق!!!

ـ.. وأستمتع بهذه المناسبة الخاصة، وأرافقكما إلى العشاء..

والتفت إلى والدته وسألها: «هل تمضين وقتاً ممتعاً يا أمي؟».

ـ كثيراً... ما هي خططك لباقي الإجازة؟

ـ سأستغل وجودي في هذا البلد لأزور ماندالاي.. لطالما كانت تسحرني!

ـ ألن ترافقنا إلى كاتماندو؟

ـ كلا!

ونظر إلى ليز بحدة وكأنه يحاول أن يسبر ما يجول في رأسها، هل يحاول أن يقيِّم ردة فعلها حيال قراره؟ أو يتأكد من موافقتها على إمضائه ليلة واحدة هنا؟

ـ ولكنني سأسافر إلى فييتنام.. وقد ألتقي بكما هناك!

حذرته والدته قائلة: «برنامجنا حافل في فييتنام».



ضحك كول: «ربما نتمكن من أن نلتقي معاً على العشاء لأستمع إلى أخباركما».

ليلة أخرى!

اعتصر الألم فؤادها.. هل كان يتوقع أن يخطفها من والدته، لبعض الوقت، ليغازلها قليلاً؟

أحست ليز بعمودها الفقري يتصلب وقررت أن تصده مهما كلف الأمر..

فهي تأبى أن تظن والدته سوءً بعلاقتهما وتصدق ادعاءات زوجته السابقة... ومن الممكن أن تطلق العنان لأحلامها الوردية.. زواج وأحفاد.. فتثير تلميحاتها المتفائلة الإحراج لكليهما..

من الأفضل لها أن تتفادى كل تقارب حميم بينهما، وتمضي الأيام المتبقية لها، في هذه الرحلة، إلى جانب نانسي..

التفتت في تلك اللحظة إلى نانسي فوجدتها مسترسلة بالحديث مع كول، عن الأماكن التي زاراها وإمارات السعادة بادية على وجهها.. فقررت ليز ألا تتنبأ بالأحداث قبل وقوعها، وتحافظ على رباطة جأشها.

ـ ماذا عنك يا ليز؟ هل تستمتعين بوقتك؟

ـ نعم، شكراً..

ـ هل من مشاكل؟

لم يبعد عينيه عن عينيها وكأنه يحاول اختراق الحاجز الذي رفعته بينهما.

أجابته بحدة: «أبداً».

قطب كول جبينه: «لا تتخيلي أنني أتيت لأتأكد بنفسي من حسن تدبيرك للأمور».

ابتسمت له ساخرة:

ـ هذا يعني أنك أسأت الحكم على الأمور وبددت أموالك ووقتك

سدى.

ـ لا مأخذ على تحليلك المنطقي للأمور كالعادة.

ـ شكراً لك، وأتمنى لك إجازة ممتعة.

كان من الصعب أن تغفل عنه رغبتها الجلية بالتزام التحفظ، من خلال أجوبتها الموضوعية... فومضت عيناه وكأنه عقد العزم على استخدام كل الأسلحة الموضوعة تحت تصرفه لمجابهة التحدي الذي رمته في وجهه..

ـ حان الوقت لندخل إلى قاعة الرقص!

أعلنت نانسي ذلك وهي تشاهد الناس من حولهم يتدافعون حول باب القاعة، متلهفين للانتقال إلى المرحلة التالية من السهرة، وتشمل العشاء والتسلية والرقص..

ـ سيدتاي..

وبكياسة تذكر بزمن الاستعمار، مد لهما ذراعيه لتتأبطاهما، وقد بدا على أهبة الاستعداد لمواكبتهما إلى العشاء.

أذعنت والدته لرغبته في الحال... ولم تلبث ليز أن حذت حذوها، وقد أدركت أن كل محاولة منها لصده ستجعلها تبدو فظة.. فرسمت ابتسامة على ثغرها، وراحت تجول بعينيها في المكان، وهي تبذل جهدها لتجاهل الحرارة المنبعثة منه، مثيرة حواسها كلها.

وفيما كانوا يتوجهون نحو القاعة، أخذت نانسي تلوح لمعارفها الجدد، من بين أفراد المجموعة، وتقدم لهم ابنها محولة انتباهه عن ليز لبعض الوقت.. فشغلت هذه الأخيرة نفسها بإلقاء نظرة سريعة على القاعة التي لفتت انتباهها بأناقتها البالغة... إذ كانت أرضها مغطاة بالخشب المصقول، وجدرانها مكسوة باللوحات الخشبية وتدلت من سقفها شمعدانات عملاقة، وفرشت على طاولاتها التي خصصت كل واحدة منها لعشرة أشخاص، أغطية منشاة.

أصرت نانسي على الجلوس على طاولة عند طرف الحلبة المخصصة



للرقص، مدعية بأنها لا تريد أن يفوتها شيء من التسلية.. فأذعن كول لرغبتها وقادهما نحو طاولة تطل مباشرة على الحلبة.. وسرعان ما انضم إليهم أشخاص آخرين، ليبلغ عدد الجالسين إلى طاولتهم عشرة... عدد أثار الارتياح في نفس ليز...

صحيح أن كول اختار أن يجلس بينها وبين نانسي إلا أنها تستطيع التذرع بالتحدث مع رفيقها الجالس قربها من الجهة الأخرى، لتبعد من رأسه كل محاولة إلى جرها في أحاديث خاصة.

وعلى الرغم من ذلك لم يتوانَ كول عن هدّ دفاعاتها كلها، حين مال نحوها هامساً:

ـ إنني أتوق للرقص معك هذه الليلة!

يريد أن يرقص معها! فيحضنها بين ذراعيه، ويقول لها كل ما يجول في رأسه، بعيداً عن مسمع والدته..

أحست ليز بتقلص في معدتها!

كيف ستتحمل ذلك؟ كيف؟

## ١٤ ـ واحة في الصحراء

جلست ليز في كرسيها وهي بالكاد تسمع الأغاني التي كانت تؤديها جوقة أولاد الشارع، فيما تولت مجموعة أخرى من الأولاد تقديم عرض راقص..

ألقى عدد من الأشخاص خطابات لم تسمع منها شيئاً أيضاً.. وعندما وُضع الطعام أمامها، وجدت نفسها تأكل بصورة آلية، من دون أن تستطعم بشيء... فالرجل الجالس قربها استحوذ على عقلها وأتلف أعصابها كلها..

اعتلت الفرقة الموسيقية المسرح وبدأت تعزف أنغاماً قديمة من الجاز تتلاءم تماماً مع قاعة الرقص.. فأسرع بعض الأزواج إلى حلبة الرقص، وراحوا يتمايلون على وقع الموسيقى فرحين.. وتوقعت في أي لحظة أن...

لن تجد صعوبة في رفض دعوة كول للرقص، بطريقة لبقة.. وهو لن يحاول إرغامها على الموافقة.. إلا أن تقاربهما الحميم قد يفرض عليها الإذعان لرغبته..

فضلاً عن ذلك، قد يثير رفضها الحيرة، فتتدخل نانسي في الأمر، وتلح عليها لتستمتع بوقتها.

وضع كول منديله على الطاولة، ثم أرجع كرسيه إلى الخلف ونهض من مكانه.. كانت الفرقة تعزف موسيقى الفالس التي لا يمكن الرقص عليها من دون أن يتلامس جسداهما.

التفت كول إليها ومد يده لها، فأحست بتقلص في معدتها:



ـ أتريدين الرقص يا ليز؟

حدقت في يده الممدودة، وقد هبت في أحشائها عاصفة من المشاعر المتناقضة، مزقتها إرباً إرباً.

قالت لها نانسي باندفاع بالغ:

ـ هيا يا عزيزتي.. أحب أن أتفرج عليكما ترقصان الفالس.

لم تجد للرفض مكاناً... لاسيما وأن كول وضع يده الأخرى على ظهر كرسيها، وكأنه يستعد لإزاحتها من طريقها..

وقفت ليز من مكانها، ورجلاها ترتجفان وفي داخلها تصميم حازم على ألا تدعه يغويها مهما حرك في أعماقها من أشواق دفينة.. إنها مسألة...

ونسيت المسألة برمتها وهو يشبك أصابعه حولها في عناق يميل إلى التملك.. فأحست بشحنة كهربائية تضرب ذراعها، وتصل سريعاً إلى ذهنها..

أخفض كول رأسه وهمس في أذنها سائلاً: «لِمَ لا تحبذين وجودي هنا؟».

من الصعب أن تلملم شتات نفسها المبعثرة، أمام هذا الانقضاض العنيف لرجولته الصارخة.. فضلاً عن ذلك، كان سؤاله الصريح أشبه بهجوم مباشر، فلم تجد مفراً من تبرير تصرفاتها الحذرة معه:

ـ إنني برفقة والدتك.

أعلنت ذلك فجأة، آملة أن يدرك رغبتها بشيء من التحفظ..

ـ إذن؟

هز كتفيه لامبالياً بالإحراج الذي قد يسببه لها إصراره على جرها لإظهار بعض المودة له.

ـ لا أجد من داعٍ لـ...

كان الموقف دقيقاً جداً، وحاولت جاهدة أن تجد سبيلاً للخروج من هذا المأزق... فتمكنت في نهاية المطاف من القول متلعثمة: «لإعطائها فكرة غير

صحيحة عن علاقتنا».

ـ اشتقت إليك! حسبت أنك اشتقت إلي!

أرجعت ليز رأسها إلى الخلف ونظراتها تتحدى بغضب المشاعر المتقدة في عينيه:

ـ إنها مسألة خاصة بيننا!

ـ هذا صحيح... ولكن لا مانع عندي من الإعلان أمام الملأ عن علاقتنا.. ولا أتخيل أن والدتي ستعترض، لأنها تحبك كثيراً.

بلغ امتعاضها من افتقاره إلى بعد النظر أوجّه: «ليست هذه المشكلة!».

رفع حاجبيه هازئاً من تصرفاتها المشاكسة: «ما هي المشكلة؟».

أخذت نفساً سريعاً ثم واجهته بما يحاول تجاهله: «ستخال نانسي أن المسألة جدية... فقد أعربت لي عن رغبتها في زواجك ثانية، لتنجب لها الكثير من الأحفاد».

ـ ألا تجدين أن فكرة زواجنا ليست مستحيلة؟

بدا كلامه أشبه بالتحدي وكأنها اتخذت قراراً من دون الرجوع إليه أولاً...

كانت عيناه مسلطتين عليها، وفيهما تصميم لا رجوع عنه على اكتشاف حقيقة ما يجول في رأسها.. فارتبكت أشد الارتباك:

ـ قلت إنك لست على عجلة من أمرك للزواج ثانية..

ـ في العجلة الندامة وفي التأني السلامة.

جاء اقتباسه مفعماً بالتهكم.

ـ لا أريد أن أكرر الخطأ عينه.. ولكنني أؤكد لك أنني لا أحتاج إلى ثلاث سنوات لأتخذ قراري.

ـ ثلاث سنوات!

ـ أظن أن علاقتك ببراندن دامت ثلاث سنوات.



هزت ليز رأسها لا تصدق أذنيها.. إذ لم يخطر على رأسها قط أن يربط ما بين علاقتها به وتجربتها مع براندن، بطريقة أو بأخرى... فالوضع يختلف تماماً.. ولمَ تراه يقارن علاقة خاطفة بقرار الارتباط الطويل الأمد؟

في مطلق الأحوال، أعادت كلماته تلك إحياء ذكرى تجربة فاشلة، تفضل أن تمحوها من ذاكرتها.. ولا بد أنه يعي تماماً تأثير ذلك عليها..

توقفت الموسيقى... فتوقف الراقصون عن الرقص.. إلا أن كول بقي ممسكاً بها، من دون أن يأتي بأي حركة ليحررها أو يعيدها إلى مكانها..

أنزلت ليز يدها عن كتفه، تستعد للتخلص من عناقه، فيما أخذ الأزواج الآخرون يغادرون حلبة الرقص.

ـ لمَ أخفيت عني أن براندن في النيال؟

ـ ماذا؟

رفعت عينيها مصعوقة فتقابلت نظراتهما ووقعت أسيرة العزم الشديد البادي في عينيه...

قال لها متجهم الوجه: «أظنك سمعتني جيداً».

وقعت ليز في حيرة من أمرها.. كيف يعقل ذلك.. إلا إن..

ـ هل حاول براندن الاتصال بي في المكتب؟

ـ أهذا ما ترغبين بسماعه؟ هل اتصلت به لإبلاغه بمجيئك؟

ـ كلا.. أنا..

لم تجد ليز من مبرر منطقي لسخطه..

سألها كول متململاً: «هل تركت له رسالة ليوافيك إلى كاتماندو؟».

ـ انتهى الأمر!

صرخت في وجهه محاولة أن تلج إلى جوهر الموضوع فأجابها بصوت أجش:

ـ كلا، لم أنته بعد..

جالت بعينيها في الحلبة الفارغة: «بدأ الناس ينظرون إلينا».

ـ حسناً.. علينا أن نضع النقاط على الحروف.. أتفضلين التحدث على انفراد؟ لك ما شئت.

وقبل أن تتاح لها الفرصة لتعترض، أمسك بمعصمها بقوة وقادها نحو نانسي التي كانت تراقبهما من مكانها، بحماسة شديدة..

دمدمت ليز ساخطة:

ـ لا أريد التحدث على انفراد.

ـ لن أسمح لك أن تتجاهليني ثانية أو تتصرفي وكأن علاقتنا سطحية وخالية من البعد الشخصي... عليك أن تختاري إما أن نتحدث على انفراد أو أمام الجميع..

كان كول ينبض بالعدائية، وأدركت ليز أنه لن يتوانى عن الإقدام على أي تصرف متهور، إن أصرت ليز على البقاء مع والدته.. فقررت أن تستجمع رباطة جأشها، وتبذل جهدها لتخرج من هذه الورطة التي زجها كول فيها.

كانت نانسي تبتسم سعيدة برؤيتهما معاً.. فخشيت ليز أن تطلق العنان لأوهامها إن أفشى لها كول سر تعلقه بسكرتيرته الخاصة، بعيداً عن الإطار المهني.

لم تشأ ليز أن تدعه يتفوه بكلمة فرسمت على ثغرها ابتسامة حزينة فيما كانا يقتربان من والدته وأسرعت تقول لها:

ـ علي أن أناقش مع كول بعض الأمور الطارئة المتعلقة بالعمل.. فهلا عذرتني قليلاً يا نانسي؟

تدخل كول قائلاً:

ـ قد يتطلب الأمر الكثير من الوقت.. أيمكنك أن تعودي إلى الفندق مع المجموعة يا أمي؟

ـ طبعاً يا عزيزي.



وابتسمت له مبتهجة:

ـ أحضرت معي مفتاح غرفة الفندق... تحرص ليز دوماً على تذكيري به.

ها هي تقع في شرك كفاءتها..

ـ لا أظن أن غيابنا سيطول يا كول..

قالت ليز ذلك محاولة أن تقلل من شأن هذا الاجتماع «الخاص»..

ـ من الأفضل أن ندرس الاحتمالات كافة..

والتفت إلى والدته وقال لها بلطف:

ـ في حال طال اجتماعنا، سأرافق ليز إلى الفندق وأوصلها إلى الغرفة سالمة.. فلا داعي لأن تبقي مستيقظة في انتظار عودتها.

أحست ليز بالدماء الحارة تجتاح عنقها وتلذع خديها..

ـ لا بأس يا عزيزي.

لم تعترض نانسي على خطة ابنها، وابتسمت لليز مشجعة واستطردت تقول:

ـ لا تقلقي بشأني.. كان نهارنا حافلاً وأظن أنني سأخلد للنوم فور عودتي إلى الفندق.

لم يعد في جعبة ليز أعذار تتحجج بها..

التقط كول حقيبة يدها الصغيرة عن الطاولة، ليضع يده على مالها ومفتاح غرفتها، ثم شكر والدته قائلاً: «شكراً يا أمي».

واقتاد ليز عنوة نحو مخرج قاعة الرقص.

ـ أعد لي حقيبة يدي.

وصرت على أسنانها من شدة الغضب مصممة في سرها على ألا تدع زمام الأمور تفلت من يدها كلياً.. فإن لزم الأمر ستطلب سيارة أجرة... تحداها كول بازدراء:

- هل تنوين الفرار مني يا ليز؟

- لا أحب أن يلوي أحد ذراعي.

- صحيح!

وناولها حقيبة يدها ثم أضاف:

- إنك الآن حرة نفسك.. ولكن قبل أن تنفسي عن ثورتك من تدخلي في خططك، أود أن أطرح عليك سؤالاً.. هلا قلت لي ما الفائدة التي جنيتها من وجودي في حياتك؟ بغض النظر عن بطاقة السفر المجانية إلى كاتمندو.

- ما الفائدة؟

صعقتها اتهاماته الباطلة: «لم أطلب منك أن تقدم لي بطاقة سفر مجانية».

- أود أن ألفت انتباهك إلى أننا في مكان عام.

ولإثبات كلامه لوح إلى مجموعة من المدخنين احتشدوا في الردهة المجاورة لقاعة الرقص..

- وبما أنك لا تريدين إثارة القيل والقال حتى لا يصل إلى مسمع والدتي..

وقادها بسرعة عبر السلم المؤدي إلى بهو الفندق حيث وقفا قرب المصعد ينتظران وصوله... التقطت ليز أنفاسها وأسرعت تقول له:

- لن أصعد معك إلى غرفتك..

كانت ليز ساخطة من تعجرفه الشديد، الذي أوهمه بأنها ستذعن لإرادته، لا محالة.

- إني أنفذ رغبتك بالتحدث على انفراد.. أم تراني كنت مجرد وسيلة استخدمتها لتعززي ثقتك بنفسك فتتمكني بعدها من الفوز ببراندن ثانية؟

عاد يتكلم عن براندن..

فُتح باب المصعد، فيما كانت ليز لا تزال مصدومة من تفسير كول الغريب لتصرفاتها..



أدخلها كول إلى المصعد، وعقلها عاجز عن فهم ما كان يقصد بكلامه.. فحدقت به غير مصدقة، وسألته:

- أتقصد القول إنني تقربت منك لأعزز ثقتي في نفسي؟

- إنه مجرد رد فعل تلقائي لخيبة أملك!

ثارت ثائرتها وقد أدركت أنه يخالها استغلالية، فأرادت أن ترد له الكيل كيلين:

- ماذا عنك يا كول؟ ففي اليوم عينه الذي اتهمتني فيه تارا بمطارحتك الغرام قررت أن تغازلني.

بدت علامات الذعر على وجهه:

- لا علاقة لتارا مطلقاً بالمشاعر التي أكنها لك! أتعتقدين أنني قد أتقرب من امرأة شبيهة بتارا، بعد كل ما قاسيته معها؟

كانت نبرة صوته مفعمة بالوعيد فأسرعت ترد عليه بحدة:

- لست أدري.. كانت تارا زوجتك، أليس كذلك؟

- وطلقتها، حالما سنحت لي الفرصة، بعد وفاة طفلنا.

وعلت وجهه إمارات الاعتداد بالنفس: «تارا إنسانة استغلالية، لا تحب أحداً إلا نفسها.. أؤكد لك أنني لم أعد أجدها مثيرة، مع مرور الوقت».

رماها بنظرات مليئة بالحقد وأضاف: «ولا أقبل أن تستغلني امرأة، حسبتها أفضل منها».

صرخت ليز بغضب: «لم أستغلك!».

- حقاً؟ لمَ عاملتني ببرود هذا المساء؟

- قلت لك إن والدتك هي السبب.

- حجتك ليست مقنعة.

وقبض على معصمها ليخرجها من المصعد ويقودها عبر الرواق الطويل،

وصولاً إلى غرفته.. دس مفتاحه في الباب، ثم دفعها إلى داخل جناح خاص، لا يمكن أن يزعجهما أحد فيه.

لم تحاول ليز أن تقاومه، بعد أن تبين لها أن جلّ ما يريده منها هو وضع النقاط على الحروف بشأن علاقتهما..

كان كول في حالة من الغضب الشديد، وقد ظن أنها اتفقت مع براندن على ملاقاته غداً.

ـ حسناً.. أريد أن أسمع منك الحقيقة.

كانت قسمات وجهه قاسية، ونظراته متحجرة، فأحست ليز برعشة تسري على طول عمودها الفقري..

إنه يهتم لأمرها.. إنه يهتم لأمرها حقاً..

امتلأت ليز فرحاً، وراحت تتجول في أرجاء الجناح الشاسع، فعبرت الباب المفتوح المؤدي إلى غرفة نوم واسعة، تضم سريرين كبيرين، ثم اجتازت المدخل المقنطر لتصل إلى غرفة جلوس أنيقة.

لحق كول بها إلى المدخل المقنطر، ووقف يتأملها متململاً... فذلك الرجل الضخم الجثة، الجبار، يحاول عبثاً كبح المشاعر العنيفة المتقدة في داخله..

ـ لم أقل لك إن براندن في النيبال، لأن الأمر لا يعنينا يا كول.

قالت له ذلك بنبرة هادئة.. فأجابها وقد بلغ الغيظ منه مبلغاً:

ـ ليس فعلاً! فبسببه رميت عنك ثوبك القديم، وأظهرت لي جانباً من ليز هارت لم أره من قبل.

هزت ليز رأسها: «كانت الفكرة فكرة شقيقاتي.. فبعد رحيل براندن، أردن أن أبرز جمالي لأجذب الرجال.. وأصرت أمي على أن ذلك سيشعرني بالرضى عن نفسي.. ولم يخطر في بالي للحظة واحدة أن أبذل جهداً لاسترجاعه.. فكل شيء انتهى بيننا».



ـ ولكن يوم رأيتك في حلة جديدة، وتأكدت من مدى جاذبيتك، كنت تحملين في يدك بطاقة سفر إلى النيبال.. بطاقة هي الفرصة الأفضل لتظهري لبراندن ما فاته.

ـ سنذهب غداً إلى كاتمندو، ولكنني لا أعرف عنوان براندن في النيبال، فضلاً عن أنني لست متأكدة من وجوده هناك... فالأمر لا يهمني مطلقاً.. وإن شاءت الصدف أن ألتقي به، لن يغير لقاؤنا شيئاً، لأنني لا أريده في حياتي ثانية.

قطب كول جبينه:

ـ أهذا ما تشعرين به حيالي أيضاً؟ لقد حققت مرادك وأصبحت الآن راضية عن نفسك.

رفعت رأسها لتواجهه، وقد أدركت أنه لم يعد لديها ما تخسره:

ـ أتريد الحقيقة يا كول؟

ـ أجل.

كانت عيناه الثاقبتان تأمرانها بقول الحقيقة.

ـ لطالما كنت تعجبني.. ولكنك كنت متزوجاً من امرأة من الصعب منافستها.. فارتأيت في نهاية المطاف أن أصرف النظر عن هذا الحلم البعيد المنال.. ويمكنك القول إن اختياري لبراندن كان عملياً، وحاولت يائسة أن أنجح علاقتنا... لعل ذلك دفعه في نهاية الأمر، للتخلي عني.. فقد بذلت جهداً كبيراً لأجعل من شيء بعيد كل البعد عن الصواب، شيئاً أستطيع التعايش معه.

قطب جبينه من جديد: «لم تبوحي بإعجابك بي...».

ـ وما الجدوى من ذلك؟ فضلاً عن أنني كنت أحب العمل معك.

ابتسم ابتسامة عريضة ودمدم قائلاً: «واحتي في الصحراء!».

ـ عفواً؟

أجابها ساخراً: «مررت بأوقات عصيبة جداً، ولكن وجودك في حياتي جعلها أكثر احتمالاً».

ابتسمت ابتسامة اشمئزاز: «كنت الخادمة!».

ـ ليس صحيحاً.. فالخادمة ترد عليّ بفظاظة وتوبخني.. أما أنت فكنت الرفيقة المساعدة.

أخذت ليز نفساً عميقاً، وهي عازمة على أن تطرح عليه سؤالها الحرج:

ـ هل كنت أساعدك على نسيان تارا، خلال تلك الأيام القليلة التي سبقت التوقيع على معاملات الطلاق؟

هز رأسه وقد أغاظه كلامها:

ـ خرجت تارا من حياتي قبل خروج براندن من حياتك بوقت طويل.. ولكنني كنت مستاءً منها لأنها حطت من قدرك وأذلتك.. وأردت أن أرفع من معنوياتك..

ـ هل أشفقت عليّ؟

كان كل شبر من جسمها ينفر من هذه الفكرة.

ـ رباه! كلا!

بدت إمارات السخط على وجهه، وقد أحبطه تفسيرها للأمور.. فقطب جبينه محاولاً أن يستجمع أفكاره للرد عليها:

ـ كرهت عزيمتك المحبطة، خاصة وأنك تستحقين التقدير أكثر بكثير من الأشخاص الذين أحبطوا عزيمتك.. وحاولت أن أقول لك.. أن أفهمك..

رفع يده في إيماءة غريبة تنم عن يأسه:

ـ وفي نهاية المطاف لم أستطع أن أمنع نفسي من التودد إليك.. على الرغم من أنني لم أشأ أن أعرّض علاقة العمل التي تربطنا للخطر.

ـ التودد إلي..!!



وأحست بغصة في حلقها:

ـ خيل إلي أن هدفك الوحيد هو التسلية فحسب.

ـ لا أريد إلا أنت يا ليز.. فقد لاح لي من بعيد طيف واحة، في وسط صحراي.. وأسرعت إليها لأشرب من مائها العذب حتى الارتواء... كان شعوراً في غاية الروعة.

لم يمكنها أن تنكر ذلك.. ولم تشأ أن تحجب هذه الحقيقة خلف أشياء أخرى ولكنها تريد منه أن يبدد شكوكها كلها.. فاعترفت له قائلة:

ـ هذا صحيح.. ولكنني حسبتك تتقرب مني لأنك لم تجد أحداً سواي..

ـ كلا.. تقربت منك لأنك أنتِ!

ـ حين وقعت عيناي عليك هذا المساء قررت ألا أسمح لأحد بأن يستغلني ثانية... حتى أنت يا كول..

واستجمعت شجاعتها كلها واستطردت تقول:

ـ مع أنني أريدك أكثر مما أردت أي رجل آخر في حياتي..

ابتسم لها ابتسامة امتزج فيها الارتياح بالبهجة العارمة: «أؤكد لك أن هذا الشعور متبادل».

تنفست ليز الصعداء، وظهرت على ثغرها ابتسامة رقيقة: «حقاً؟».

ـ ما الذي حسبتني أناضل من أجله؟

ثم دنا منها وأخذها بين ذراعيه، وعيناه المملوءتان بمشاعر صادقة، لا تفارقانها:

ـ لن أدعك تبتعدين عني بعد اليوم.. وسنرى إلى أين ستذهب بنا هذه العلاقة.. علينا أن نمنح أنفسنا بعض الوقت يا ليز... اتفقنا؟

لم تعد الأحلام مستحيلة، وكلامه فاق قدرتها على تصديقه. فأخذ قلبها يتخبط بين ضلوعها، وآمال المستقبل الزاهي تتراقص في ذهنها.. كان رجل

أحلامها يحتضنها بين ذراعيه، ويشدها إليه بقوة، وكأنه يريد أن يجعلها جزءاً منه.. فقد ترك أعماله كلها وسافر إلى المقلب الثاني من الأرض، ليقضي على ما يمكن أن يفرق بينهما.. وها هو الآن يقول لها..

ـ أجيبي يا ليز..

يأمرها..

إنها تحب هذا الرجل.. وتحب كل شيء فيه.. دست ذراعيها حول عنقه:

ـ نعم يا كول.. نعم..

كانت نبرة صوتها مفعمة بالفرح، ونيران الشوق تستعر في أحشائها، وقلبها يهلل ابتهاجاً بهذه المشاعر الجياشة المتبادلة.. فعانقها عناقاً ملؤه الشوق واللهفة، عناقاً أكدّ لها أنها المرأة التي يريدها بكل جوارحه.. فانهارت كل الحواجز، ولم تعد تخشى شيئاً معه، حتى رأي والدته في علاقتهما..

ونانسي ستفرح حتماً لفرحهما..

عندما طلب كول سيارة أجرة لتقلهما إلى الفندق، كانت ليز في حالة من السعادة الشديدة، ولا تشعر بالنعاس أبداً.. يمكنها أن تنال قسطاً من النوم خلال الرحلة إلى كاتمندو.. فتذكرت عندها:

ـ كيف علمت أن براندن في النيبال؟

ـ أخبرتني أمي قبل سفرها.

ـ أمك؟

قطبت ليز جبينها وقد فاجأها الأمر.. إلا أنها عادت وتذكرت بأنها ردت على أسئلة نانسي حول صديقها السابق.

ـ لمَ تراها فعلت ذلك؟

ابتسم كول:



ـ لعلها اكتشفت أنني أهتم لأمرك، وأرادت أن تحثني على التحرك بسرعة، حتى لا أخسرك.

تنهدت ليز مطمئنة: «يسرني أنك أتيت».

شد كول على يدها: «وأنا أيضاً!».

نظرت إلى أصابعهما المتشابكة، وتذكرت التوتر الشديد الذي تملكها بعد مغادرة تارا بالم بيتش، ومحاولات كول الحثيثة، للتخفيف عنها.. قالت لها يومها والدته: «إنه يهتم لأمرك يا عزيزتي».

ضحكت ليز في سرها وقد أدركت أن لا شيء يخفى عن الأم.. فكول يهتم لأمرها.. وليز تشعر بالرضى التام عن نفسها.

## ١٥ ـ حرّرها الحب

بعد مرور ستة أشهر. . .

وقفت ليز وشقيقاتها في المطبخ، ينظفنّ الصحون بعد انتهاء حفل الشواء الذي أعدته العائلة ظهر الأحد، بمناسبة خطبتها على كول الذي جلس يدردش مع والدها وأزواج شقيقاتها، في صحن الدار. .

من جهتها، جلست والدتها مع نانسي بيرسون في غرفة الجلوس تتشاوران حول حفل الزفاف الذي أصر كول على إتمامه في أقرب وقت ممكن.

ـ هذا الرجل ساحر وجذاب إلى حد الإغراء. .

أعلنت سو ذلك وهي ترفرف بجفونها، مغيظة ليز.

ـ لم يعد بوسعك أن تنكري الأمر.

ضحكت ليز: «لا شك أنه أحرز تحسناً ملموساً منذ أن بدأنا نخرج معاً».

ـ رباه!

رمتها سو بمنشفة الصحون.

ـ كفي عن هذه التعليقات المتغطرسة واخرجي من شرنقة أنانيتك.

ـ لست محقة يا سو!

خالفتها ديانا الرأي:

ـ فبعد أن غيرنا شكلها الخارجي، باتت أكثر انشراحاً. . . أظن أنها أفضل فكرة خطرت لي في حياتي. . . وانظرنّ ما كانت نتيجتها. . .



أمسكت بيد ليز اليمنى المبللة بالماء والصابون وأضافت:

ـ أريد أن أرى الخاتم ثانية.

كان خاتمها من الياقوت النفيس المرصع بالماس. . ابتسمت ليز وهي ترى الحجارة الحمراء تتلألأ في النور:

ـ إنها تدل على النيران المتأججة في داخلك.

قال لها كول ذلك وهو يدس الخاتم في إصبعها.

ـ فكلما فكرت فيك، أشعر بالحرارة تغزو أوصالي!

قالت ديانا:

ـ إنه خاتم نفيس ويدل على رغبة ثابتة بالارتباط مدى العمر. . أرجو أن تدركي ما أنت مقدمة عليه.

أجابتها ليز بنبرة جافة:

ـ مضى على علاقتنا بعض الوقت. . وأظن أن الزواج من رب العمل أمر في غاية الروعة.

تدخلت جاين في الحديث قائلة:

ـ لعل أكثر ما أثر بي حبه للأولاد. . . إنه يجذبهم كالمغناطيس. . فأراهم يتدافعون جميعاً حوله، من دون أن يبدو عليه الانزعاج مطلقاً.

ـ هذا صحيح. . يتمنى كول أن يصبح أباً.

تنهدت جاين بحسرة:

ـ إنه حزين جداً على موت ابنه. . . هل عبّر لك عن لهفته لتأسيس عائلة معك يا ليز؟

ـ إنه يتحرق لهفة لذلك!

ـ ليز.

علا صوت والدتها من المدخل:

ـ هلا ناديتِ كول وانضممتما إلينا في غرفة الجلوس؟ نريد التحدث معكما.

ـ حسناً يا أمي.

نشفت ليز يديها وتوجهت نحو صحن الدار فيما كانت شقيقاتها الثلاث ينشدن:

ـ تبختري يا عروس.

وأحست ليز بالبهجة تغمرها وقد أصبحت واحدة منهنَّ، ولم تعد تقف خارج حلقتهنَّ الساحرة تختلس النظر... فالذنب ذنبها وحدها لأنها لم تكن تدرك قيمة نفسها، وتشعر بعجزها عن منافستهنَّ..

وحده كول استطاع أن يثبت لها أن الحب لا يمت إلى المنافسة بصلة.. فالحب يعني أن يتقبل الواحد الآخر كما هو، من دون أن يحاول أن يتشبه بأحد..

رأت الحب المتقد في عينيه وهي تتوجه نحوه، فأحست بنفسها مميزة وتنبض بالحياة، فبادلته نظرات الحب بنظرات كلها لهفة..

ـ تريد والدتانا التحدث معنا في غرفة الجلوس.. أظنك فاجأتهما قليلاً، حين أصريت على إتمام الزفاف في القريب العاجل.

ـ أرفض تأجيل العرس.

واعتذر من الرجال الباقين، وسار قربها، واضعاً ذراعه حول كتفيها:

ـ عليك أن تساندني يا ليز.. لا أريد الانتظار طويلاً.

ـ لن تشعر بالرضى إلا إن تمكنا من تنظيم حفل زفاف ملائم.. ولا تنسَ أنني لا أنوي الزواج إلا مرة واحدة.

رماها بنظرة تنم عن عزم راسخ: «وعدتك بأن أقيم لك حفل زفاف ملائم».

فلا أحد يستطيع أن يثني كول عن بلوغ هدف وضعه نصب ناظريه...



وما إن دخلا إلى غرفة الجلوس، حتى انهالت عليهما المرأتان بالاقتراحات... فهذه تفضل عقد الزفاف نهار سبت، وتلك تقترح إقامة الحفل حول حوض السباحة في بالم بيتش، لأن الصالات الفخمة محجوزة كلها سلفاً..

قالت لها والدتها بنبرة جدية:

ـ أمامنا ستة أسابيع فقط لإرسال الدعوات، والناس يلزمهم وقت أطول...

قاطعها كول قائلاً بنبرة حازمة:

ـ كلا.. سنعقد الزفاف بعد شهر واحد، وإن لم يتمكن البعض من الحضور، فلن ننتظرهم...

أذعنت والدتها لقراره، ونهضت من مكانها، وأسرعت نحو ابنتها تحضنها بحنان:

ـ لطالما كنت تصرين على القيام بالأمور على طريقتك.. تهانينا يا عزيزتي.

طمأنتها ليز قائلة: «إنني سعيدة جداً يا أمي!».

ـ إنك تستحقين كل السعادة.

ـ إنني سعيدة من أجلكما!

أعلنت نانسي ذلك وهي تنهض من مكانها لمعانقتها بدورها..

ـ ليز هي المرأة المناسبة لك يا كول.. أدركت ذلك لحظة تعرفت عليها.

ـ أيعقل أن ينعم الله على المرء بهذا اليقين، في اللحظة عينها؟

أجابته ليز بمكر:

ـ إنه حدس الأم!.. علَّ الله ينعم علي به فيما بعد.

ـ هل سيؤثر على مناقشاتنا المنطقية؟

ـ قد يختصرها قليلاً.

ـ أظن أن ذلك سيضاعف حبي لك.

ـ أقسمت أن تحبني طوال العمر

التفت نحو والدته قائلاً:

ـ أرأيت يا أمي؟ إنها تفوقني ذكاء!

ـ هيا يا كول... أرى أن الأمر يروق لك!

ابتسم ابتسامة عريضة: «هذا صحيح.. واسمحوا لي الآن أن أخطف ليز لأثبت لها مدى حبي لكل ما فيها».

وطبق القول بالفعل.

بعد مرور سنة رزق كول وليز بطفلة جميلة أسمياها جيسيكا آن، لفت أصابعها الصغيرة حول إصبع والدها، فأوقعته أسير حبها مدى الحياة.

www.elromancia.com